أنطولوجيا الحدث ومستطاع الفن : جمالية البداوة عند جيل ديلوز

علي الحبيب الفريوي ، جامعة صفاقس،تونس

تمهيد وتساؤل :

ان نستدعي جيل ديلوز استشكالا فلسفيا يرفع من مقام التفكير، يعني ان ننخرط عربيا في محاورة معنى الحدث، وان نكون ضيوفا على فيلسوف شكل حدثا فلسفيا في حد ذاته . توسم ميشال فوكو ان يكون القرن العشرون قرنا ديلوزيا، وهي عبارة رفعت من مقام فيلسوف الحدث. ان القرن العشرين الذي نحياه "قد يصير يوما ما قرنا ديلوزيا" [1]. نال ديلوز شرف فيلسوف الحدث، لكونه لم يماسف بين الوجود والحدث، ولم يميز بين سؤال كل منهما : الوجودهو الحدث الاعظم، شكل وهبا انطولوجيا متضرسا في العمق البدوي، متطرسا على مسطح المحايثة، متجذمرا بين طيات الرغبة وقواها الحية انقطاعا ومجاوزة لعالم الماهيات. ثمة ما يحيل ان ديلوز يرغب في الدفع بالتفكير الى درجته القصوى، دون غنم انهاء ميتافيزيقا الماهية، ودون الشفاء المطلق منها. ان نجدد القديم وننحت الجديد في افق من التفكير البدوي، يرفع من مقام السؤال حول انطولوجيا المعنى او ميتافيزيقا الحدث. يقول ديلوز : " بحثت في كل كتبي عن طبيعة الحدث. انه مفهوم فلسفي، الوحيد القادر على عزل فعل الوجود" [2].

تتأسس الانطولوجيا الديلوزية حدثا، يرفع سؤال الوجود تقوى التفكير، من جهة مسطح المحايثة الذي يسبق وجود كل الموجودات. كل ما يوجد هو "انفتاح يستعصي على التحديد والضبط، فالوجود محض تركيبات جغرافية وتوليفات محلية، لا غاية اخيرة تحكمها ولا تركيب نهائي يلمها" [3]. يتشضى الوجود حدث البداوة و وميض الاصباح الاول. تدفقت من مضاءة فجوته كل الاحداث الكبرى، ولان الحدث عهد ووهب لنداء المتعدد في الواحد، ومنبع الصيرورة ومنطق الشدة، وجد جيل ديلوزفي الفن الخيط الهادي الى الحدث الاعظم للعودة الى البداوة والتوحش، والى الطبيعة الجسدية دون اعضاء،

للانغراز في البوار والفطيري الذي يمنح الفيلسوف تقوى السؤال وأفق التفكير، دون ان ينال التحرر من فوضى الكاووس، او الافتراضي الذي يتضرس في غفله الوجود، ويتطرس في نسيجه المعنى المحض، تحركه الشدة على مساحة الرغبة دون ان ننفي عنه بهجة الحياة فوق مسطح المحايثة.

اخذ ديلوز من كل انطولوجيا ساهمت في استعادة سؤال الحدث دون ان يكون معها وضدها. انخرط في مسالك وايتهد لفهم الحدث خارج دائرة الماهية. استدعى "الحدثية" عند هيدغر كونا، دون ان يأخذ بانطولوجيته، راعية حدث الانهاء والمجاوزة، لان هيدغر نسب الفلسفة حدثا قاريا اوروبيا، وهو "مع ذلك يخونها مادام يجمدها بصفة نهائية بين الكينونة والكائن" [4]. انتسب ديلوز الى مقام الفن، حتى لا تميتنا الحقيقة. اخذها عن نيتشة الذي جمع في الفن بين قوى الكينونة و قوى الصيرورة حدثا فنيا، تجسد على مسطح المحايثة سؤالا عن الاصباح الاول للوجود، وانفجارا كونيا يعيد الانسانية الى طهرها البدوي، والى بداوتها والى تيهها، قبل ان تستبد بها ثقافة المطابقة وميتافيزيقا اليومي، ويتسلل اليها الموت من مسارب القحط الذي حل بالرغبة، فافسدها وقتل بهجة الحياة الراقصة على مسطاع الجسد.

تلك هي رؤية ديلوز للحدث، وللرغبة وللجسد وللانفجار الكوني، حين يجمعهم الفن على مسطح المحايثة، فيحولهم الى مسطحات من الادراكات والاحاسيس، تتنبت خيوطا هاربة في صيرورات متحركة في كل اتجاه، لتحدث الانفجار الاعظم الذي يشد الانسان الى حدث مستقبلي مؤجل على الدوام، ومفتوح على الكون، دون ان يكون للفن تاريخ يوثق لتياراته ومدارسه. ياخذ مفهوم "الاصطفاف" Agencement [5] الحاضن الانطولوجي للفن. تتطرس منعرجاته على مسطح المحايثة حدثا ادراكيا متضرس في البداوة، متصالب في الصيرورة اصطفافا غير مرتب او محقب. لا ينتسب الحدث الفني الى التاريخ طالما هو خارج اللغة. يبدا من نقطة ليبدع كثرة متكثرة من الادراكات والاحاسيس، نحتا لتراصف جديد من العناصر الفطيرية التي شكلت نسيج الطبيعة.

1 انطولوجيا الحدث الديلوزي

يصل ديلوز كل فلسفته بسؤال الحدث، هو المفتاح والمصباح لفهم معنى الوجود في اصباحه الاول، وغفله المتجذمر خارج قواميس اللغة. يتعذر على الفلسفة ان تنال منه، وان كان هو شرط امكان سؤالها، لانه " حدث لا مادي لا جسمي لا يعاش، انه الاحتياط المحض " [6]. يستعيد الفلسفة استحقاقا انطولوجيا مستنيرا بقول فلاسفتها ومريديها، يعاصرهم يوما وحدثا. يقف معهم وضدهم. يستجوبهم نعل بنعل. يبحث لهذا التراكم المفهومي عن خيط ناظم، يهتدي به الى خارج محنها وأزماتها. يفسح ويفتح متاهات جديدة للتفكير. تشدنا تيها وترحالا الى البداوة والى الصحراء الصقيلة والارض الملساء. يتصل حدث الفلسفة بكل "الحركات البدوية التي تتحرك في فضاء مغاير، املس يشبه فضاء المقاومة، لا فضاء الجيوش النظامية. لذا نقول عن الفلسفة، انها مقاومة وثورية على الدوام"[7].

مثل سؤال الحدث المهماز الذي يرتق الفتوق ويشق الكلوم. تستدعيه انطولوجيا الاختلاف خارج تطابق الهوية. يتزمن في العود الابدي دون ان يستوعبه الزمان، لكونه صيرورة الصيرورات، متحررا من منطق الماهية وميتافيزيقا الثنائية. يحتاج الحدث الاعظم الى فيلسوف في هامة الفلاسفة الكبار.يحرر الفلسفة من رشحها ويبعث منها اسئلة جديدة لم تطرحها الفلسفة بعد. "ان فيلسوفا كبيرا هو من يبدع مفاهيم جديدة. تتجاوز هذه المفاهيم في الوقت نفسه ثنائيات الفكر العادي، وتعطي للاشياء حقيقة جديدة وتوزيعا جديدا وتقطيعا خارقا"[8]. ان تتنبت الثنائية في المتن الفلسفي،وتقسم المفاهيم الى ثنائيات ضاعف من سلطة الذات، ومن سطوة ميتافيزيقا اللغة. بل ان ما حل بالتفكير اسقط الحدث الانطولوجي في النسيان، واعاق طرح سؤال المصير واستشراف المستقبل. ان نعيد الى الفلسفة مقامها، هو ان نعلي من مقام الحدث عهدا ينفتح من مضاءة الادراك، خيوطا بدوية يترجمها الفن عملا وعالما.

يعتقد ديلوز ان الفن الكلاسيكي سقط هو الاخر في ازمة. تحول الى فن تمثل ومحاكاة. لم يعد عهدا انطولوجيا لحدث الوجود. فقد مستطاع التعبير عن

رغبة الانفتاح على الصيرورة في نسقها المتعدد وفي عودها الابدي. لن ننال الفرج من الذاتية، اومن ثنائية ضيقت على اللغة الانتشار خارج الملفوظ، وعلى رفع مقام العلامة اصلا تعبيريا عن المتعدد والمختلف. لن نستطيع مجاوزة منطق اللغة. ان نظل نعاند ونقاوم، ولن نستطيع الى ذلك سبيلا، طالما لم ناخذ بمهمة الفن حدثا ورغبة في العودة الى البدو الاول، وفي كونه عهدا يحفظ العالم في تنوع تضاريسه وانفتاح خرائطه وشدة اختلافاته في الواحد. ان في هيمنة الثنائيات وسطوة منطق المطابقة تأكيد على ان الحياة تتجه الى القفر، والى قحط انطولوجي ينهك بهجتها، ويحد من رغبتها في التمدد على مساحة الرغبة. " ليس الفن غاية في حد ذاته، وليس نشاطا محايدا، بالعكس الفن هو في خدمة الحياة، او بتعبير ادق هو الوسيلة والطريقة الحاذقة والماهرة القادرة على مد خيوط الحياة ورسمها "[9].

ربط فيلسوف الرغبة صداقات فكرية مع كبار الفلاسفة. قرأ كانط ، تاثر بسبينوزا، صاحب نيتشة، استلهم برغسون وصادق فوكو. كان جريئا في الخروج عن ضيافتهم، و اعلان تمرده والانقطاع عنهم. يعتبر ان الفيلسوف الانقليزي وايتهد هو الاقرب اليه. وجد في فلسفته ومنطقه معنى الحدث خارج منطق الماهية. اعتبر كتابه "الحرية والواقع" اهم الكتب في تاريخ الفلسفة المعاصرة[10]. منحه هذا المنجز الكبير شرط امكان التفكير من خارج منطق ارسطو وهوية افلاطون الميتافيزيقية. في الحدث يتنبت المعنى وتتجذمر الطفيليات، إيذانا بتخلق الافتراضي، وتكوثر الحدثي نسيجا من الخواء على مسطح المحايثة، دون ان يبلغ التفكير نهاية المقصد، او ينال الفيلسوف من طواف الرغبة، بعد ان ادرك شدة المشقة في نحت سطوح الاعماق، و ان قدره هو الانتظار في مفازات البداوة. ان يتمرن على المقاومة تحت الصقيع، وتحت قبة الكاووس اللامتناهية، لعله ينال كشف المعنى يفيض عن منطق الاحساس، ويبلغ في منتهى كثافته وفي فاعليته الطرفية التي لا حدود لها الاصل البدوي للوجود.

يتخلى ديلوز في "منطق المعنى" عن العمق. ياخذ بالسطح طلبا للمغامرة في صحراء التيه ومفازات البداوة. نتعلم من السطح الجدة والشدة، الكثرة والفرادة. ننخرط في الحدث الاكبر. ليس هناك ما يخفيه القعر والقاع. كل الاشياء

تتجذمر على السطح، تتنكر للعمق. ان ننشد الى الارض وان ننغرز في جلدنا الفطيري. "في منطق المعنى، تقوم الجدّة بالنسبة اليّ في تعلم شيء ما من السطوح". لم يعد ممكنا الاخذ بحقيقة الاعماق. ان نعود الى نيتشة الذي رفع مهماز التقويض، و حمل نبوءة التفوق. راى في الحياة حدثا جسديا يحياه المتفوقون، منغرزين في جلدة الارض. وجب على الفلسفة استعادته حدثا مستقبليا، لانه يحررها من ظلمة الكهوف، ويعيدنا الى أمنا الارض. الحقيقة ليست في سماء تمثّلها افلاطون عالما مطلقا، أو في عمق الارض. تسعى الفلسفة الى تجذيرالحقيقة على الارض، على السطح عهد حمله الرواقيون،واستثمره ديلوز وقاوم لاجله. "إنه الاكتشاف الرواقي العظيم ... اكتشاف السطح بشكل مستقل عن الارتفاع والعمق، ضد الارتفاع والعمق. اكتشاف الاحداث اللاجسمانية، المعنى او الاثار التي لا تختزل الى الاجسام العميقة، كما الى المثل العالية. كل ما يحصل وكل ما يقال، يحصل ويقال على السطح" [11].

يشدد ديلوز على ان كل ما فكر فيه وكتب عنه، لا يخرج عن فهم الحدث بما هو صيرورة زمانية تتفعل على مسطح المحايثة، رغبة من الادراكات الاولية والاحاسيس المتوحشة، التي تمنح الحياة قيوميتها ومستطاع ارادتها. مثل الكاووس الحدث الاعظم الذي تناثلت منه كل الاحداث، وتنبتت منه الاختلافات كثرة متكثرة، نسجت القماش الفطيري للوجود، و وصلت بين عناصره. يستحيل الحدث ان يكون معنى، هو المعنى والاول والاخر لا يسبقه ولا يتأخر عنه شيء. " هذا ما نسميه الحدث، او جانب ما يتشكل على مسطح المحايثة، يقطع الخواء... ليس الحدث ابدا حالة الاشياء، انه يترهن في حالة الاشياء" [12]. رب شدة تجعل كل الاشياء في حدث عظيم، تسبح في مدار الرغبة دون ان ينال منها المفهوم، او يشل حركتها اللولبية منظور لا يقبل بالفرق والعود الابدي. رب حدث انطولوجي صمد ليس كمثله شيء يشدنا الى بداوة الحياة، والى منطق ادراك لا عضوي، تتفرخ فيه الرغبة ويشتد فيه صراع الطي والثني. رب حدث مريع ياتي على مسرح القسوة رغبة في تعرية الجذر، وفك شدة القمع عن الروح الجذمورية للمفهوم، في اختلافه وتكراره وشدة تواطئه، خارج منطق الماهية وميتافيزيقا المطابقة.

مثل الحدث الديلوزي حدثا كونيا لا يتصل باليومي الانساني. يتجاوز الممكن، لانه شرط امكانه. الحدث احتمالي وافتراضي، يتضرس في الهباء، ويتطرس على مساحات لا نهائية من الرغبة. منغرز في المفهوم ظهير للتفكير. يتحرك خارج الممكنات، ويتجلى حدثا كميا وفطيريا يباغت كل ممكن. منبعه الادراك منتج للمؤثرات التي تلفت انتباه الفنان، وتحرضه على وعي الحالة اندهاشا وتساؤلا، كحالة ادراكية تسبق التجربة، يتشابك فيها المدرك والمدرك. ذلك ما تاولته الفينومينولوجيا. رفعت من مقام المعاش، وتخيرت اللحم او المادة الفطيرية نسيجا مشتركا لقماشة الجسد والعالم. لا تختلف عن قماشة العمل الفني، هي تعبير عن نزعة لحمية تمنح الجسد مستطاع التعبير عن العالم. منح ديلوز اللحم اللاعضوي قوة وفاعلية أضفت توافقا انطولوجيا بين الجسد والفن. "انه لحم العالم ولحم الجسد كمتضايفين يتبادلان بعضهما، فذاك توافق مثالي "[13].

وحتى نتبن الحدث الفني في عمقه الانطولوجي خارج اللبوس الثقافية، يصل ديلوز الممارسات الفنية البدائية بالممارسات الحيوانية في علاقتها بالارض، وبحاجتها الى السكن. ان حفر المغاور وفتح الندوب والتجاويف يمثل ضربا من الانشاءومن التاقلم مع نداء الارض، التي فرضت على كائناتها المرئية واللامرئية ضربا من الاحاسيس، لا تتعارض مع ادراكاتها الفطيرية. هناك تناغم ابدي بين الارض ونوابتها، يسعى الفن الى التعبير عنه، وكشف الجوانب الانطولوجية للادراك البدوي، قبل ان يتدخل الفعل الانساني. لم يكن الفن تعبيرا ثقافيا يصور حياة الانسان، ويعبر عن يومه. كان تعبيرا عن حدث الكون. يستلهم من الارض تلك الاحساسات الغفل، وذلك الادراك المتوحش في عالم البداوة والتيه، الذي شكل منظومة العلاقات المعقدة، الى درجة لم نعد نميز بين وهب الطبيعة ونداء الفن.

مثل التيه والهجرة الى مواطن البداوة، والانغرازفي نسيج الغفل الارضي بخطوطها وخيوطها اصل العمل الفني واساس التعبيرية. فحركة الخطوط في كل وجهة دون اتجاه معين، هي من تحول المادة الغفل الى مادة تعبيرية تمنح الفنان ارادة الاقتدار على الابداع. فالفن ليس تعبيرا يتزمن في التاريخ. الفن بدو ينشد الى

زمانية اصلها ثابت في الاصل و رؤيتها انفتاح على مستقبل مؤجل. يتحرك خارج انظمة الخطاب، لا ياخذ بالمعرفي والثقافي وبالحفريات الانتربولوجية. يرفع ديلوز مقام الاصطفاف لكي لا يكون للفن تاريخ او ابستيمات او مدارس مختلفة. يتجذمر الفن في الادراك البدوي، منخرطا في الصيرورة اصطفافا غير مرتب او محقب. لا يتوطن في مفاهيم متروكة مستنفذة من المعنى والمحتوى. تفهم الظاهرة الفنية بعيدا عن الترسيم التاريخي. تبدأ من نقطة، راى فيها بول كلي اصل التشكيل لفهم الوجود واستكشاف عناصره. "النقطة الاولى للبدء هي المادة التي لم تتشكل بعد، ولا اجد صعوبة في البدء من تلك النقطة، لانني انا نفسي قد اكون مادة لم يتم تشكلها بعد" [14]. من النقطة تتكثر الكثرة وتتضاعف خيوط الرغبة على مسطح المحايثة، لنحت تراصف جديد بين عناصر الطبيعة.

يظل الانسان مشحونا بطاقة هادرة، شديدة الفاعلية بفعل الرغبة في الانوجاد على مسطح المحايثة، والانفتاح على المستقبل استشرافا لوقع الحدث، وقدرته على تغيير المواقع، وعلى اعادة رسم الخرائط، وتوزيع مستطاع الاقتدار على تحمل شدة تموجات السطوح وتنبت المفاهيم بين الروابي، ومن عمق الطبقات الاركيولوجية للارض. لا فرق بين الطاقات الا من جهة مستطاع الرغبة. ليس هناك فرق بين طاقة حيوانية واخرى انسانية الا في الوقع والشدة والرغبة، فهي لا تحتاج الى تحديد جغرافي، هي من تحدد الجغرافيات، وهي لا تتميز بطبيعة معينة او بهوية تخالف بها طاقات اخرى. يتحدث ديلوز عن طاقة فالتة من اللغة ومتجاوزة للمفاهيم. تتحرك خارج كل المحاور. تتجه الى نداء المستقبل الذي قد يكون مستقبلا حيوانيا محتملا. " لكن الكائن الانساني لا يصبح مستقبلا حيوانا واقعيا حقا، انما يصبح لونا، يصبح جرسا صائتا، يصبح خطا ."[15]

تقول الفلسفة الحدث، وتقتفي اثره دون ان تتعدى حدوده او تتخطى مجاله التعبيري. في حين يرفع الفن الحدث ادراكا فطيريا للقوى المتصارعة في الطبيعة، ويشدد على القوى الصائرة في حركة العود الابدي، وفي بداوة الاختلافات وتكوثر التكرار خارج سلطة الخطاب واستراتجية التسمية. تتجذمر القوى على سطوح الخواء اللامتناهية دون ان تبلغ المعنى. يرفعها الفن تعبيرا عن

الحدث المقصود الذي اقتصد معنى الصيرورة، مثل الحدث الموصول بمسطح التركيب. تتنافذ فيه الادراكات وتتموج في مسالكه الصيرورة طيا وثنيا، وصلا أبديا يجمع تلقائيا بين القوى المشردة في الهامش الغفل وبين الرؤى الهاربة من تشظي الخواء، والرغبات المتمردة على قوى الاضغان والارتكاسية.

الادراك بداوة الحدث الفني:

يمنح الفن الانسان مستطاع الانخراط في الصيرورة قدرا انطولوجيا. سبق اليه هيرقليطس قبل ان يعطل حركته افلاطون. سار على هديه من جعل من حركة الصيرورة اقتدارا على الحياة وعلى مقاومة العطالة. يتجه الانسان في الفن الى المستقبل، تشده الخيوط والخطوط الى مسطح المحايثة او مسطح المستقبل المؤجل على الدوام خارج سلطة الذات. ليس للصيرورة ذاتا، هي انفتاح وانخراط تلقائي في الزمان العائد عودا ابديا، مدفوعة دون دفع الى المستقبل الذي لا يخضع لطوبولوجيا محددة والى حدود معينة. المستقبل خليط ومزيج من عناصر اولية يصعب تحديدها. لذلك كان المستقبل عند ديلوز لا مرئيا. يتحرك في فضاء غفل مهجر في خطوط التيه والبداوة. "ان المستقبل خط يقع بين النقاط، وبين الثنائيات، لكنه يظل دائما يتوارى على نحو هروبي مدفوعا نحو منطقة مبهمة غامضة، ولكنها منطقة كونية"[16].

ياخذ الحدث بعدا انطولوجيا، لكونه منبع كل انطولوجيا واساس كل تفكير. يفكر بنحت المفاهيم وتجديد الميتافيزيقا. الفن رؤية حافظة للاشياء، وهو حدث متزمن في زمان الاختلاف الذي يوحد الاختلافات خارج الانصهار، ومتجذر في حركة الصيرورة، لان العمل الفني هو صيرورة تتحرك دون وجهة معينة، رغم انها تتجه الى المستقبل. ليس ديلوز اول من عهد للفن امانة الحفظ. سبقه الى ذلك هيدغر في كتابه "أصل العمل الفني"، مع وجود اختلاف دون خلاف. ان كان الفن يحفظ الشيء، أي يحفظ شيئيته قبل ان يتشكل ويسخر فان العمل الفني يرفع مقام الاشياء ويمنحها الانخراط في صيرورة الحياة وزمانية الوجود. " ان الفن يحفظ وهو الشيء الوحيد في العالم الذي يحفظ"[17].

حين يكون الفن حدثا، وهو كذلك، لم يعد العمل الفني متصلا بمن أبدعه وأخرجه الى الحياة. يصبح منغرزا في من يحفظه من التلف والاندثار. يتحول الى عهد يرفع مقام الشيء في الوجود. بمعنى يصبح حدثا انطولوجيا منخرطا في الصيرورة. يشد الانسانية الى مصيرها، رغم ما يفرضه اليومي من معارضة على طرح سؤال المستقبل. فالتمثال الذي انبعث من تسخير الارض، وشكل حدثا فنيا لم يعد يمثل صاحبه. انفصل عنه الى الابد. تحول الى رؤية فنية للعالم، يستمر في الابتسامة او في التامل. وتلك مزية الفن. ان يحفظ الادراكات ويؤتمن على الاحساسات الانسانية في عمقها الانطولوجي المتصل بالبداوة والغفل والهباء، دون اعتبار الحفظ في المادة والشكل واللون. ينحت الفن المؤثرات الانفعالية من طين الارض، لاتختلف عن حميمية الامومة. تترابط الانفعالات مسطحات مختلفة الاتجاهات والوجهة. تتشكل من فطيرها الغفل مركبات الاحساس، التي يرفعها الفنان احساسات قابلة للتشكل على مسطح المحايثة.

تنفي الانطولوجيا التعارض بين ما يكشف عنه الفن وما تظهره الطبيعة من ادراكات واحاسيس في خاماتها، الى درجة لم نعد نميز بينهما. فما يبحث عنه الفن هو تبيان لا نهائية المسطحات والتراكيب، واظهار علاقاها الطباقية مع الطبيعة. ما يختلف فيه الفن عن الطبيعة انه يحتاج الى مسطح المحايثة لتشكيل نسيج قماشته، ولاظهار عالمه، والى الحدثية افق انطولوجي يجمع بين الارض والعالم، لقاء عشاق وصراع محبين، او بين "الفيزيس" و"اللوغوس" عهدا للسؤال وتقوى للتفكير. تتشكل مسطحات الطبيعة وتنسج خيوط ادراكاتها دون حاجة الى مسطح تاليفي. ان الاهتزازات التي تحدث في الطبيعة هي من فعل الادراك، التي تحدث فراغا او ضوء او هواء. هي عناصر أولية تمتد الى كل الاتجاهات بما هي خيوط متناثرة، تجسد الرغبة في التلامس والانصهار والانغراز في لحمية الفطيرالبدئي. مثل النحت ابرز فن عبر عن هذه الاهتزازات الادراكية. تتلامس الاجساد في النحت وتتباعد محدثة فراغا وملء. إندفقت من تجاويفها فوّارا من الاحاسيس، جسدها الحجر او الرخام او المعادن التي "تتموج وتهتز وفق نظام من الايقاعات القوية، والايقاعات الضعيفة من

النتوءات والفجوات ... وما تنظمه من الفراغات الكبيرة ما بين فئة واخرى، او داخل الفئة الواحدة. حيث لا نعود نعرف ان كل الضوء او الهواء هو الذي ينحت، ام هو المنحوت"[18].

تمثل الطبيعة مادة الادراكات الغفل التي تتفجردون علة، تؤثر في الفنان، تملي عليه مستطاعها، تفجر قواه الطاقية للابداع، تجتاحه خيوطا، تضعه تحت إمرتها، تأسره أسيرا لرغبتها، تندغم معه تشكيلا لعالم، ترفع خطوطه نسيجا لعالم الرغبة والبداوة. تنغرز ادراكات الطبيعة مع احساسات الفنان. تتشكل من نسيجهما قماشة العمل الفني عالما للتيه والترحال في حركة الصيرورة. ان ما يحفظ من مواد في العمل الفني، سواء كانت الالوان او الحجر او الكلمة ليست مادة واقعية. ان ما يحفظه عهدا ووعدا هو الادراك. ان مهمة المادة، القماشة، اللون، الحجر، الطين.... هي ان تمنح الادراك الصلابة والقوة للانخراط "في صيرورة الوجود وحفظ ذاته في الابدية، التي تتعايش مع هذه المدة القصيرة"[19].

يظل العمل الفني مستقلا بذاته عن المبدع، وعن المتلقي، وعن المواد التي اظهرته عملا فنيا. لا يحتمل الاضافة ولا المواد الحافظة، ولا يحفظ مادية الشيء وان كان ذلك امرا ظاهرا وجليا. يحفظ العمل الفني "كتلة من الاحساسات، أي، مركب من المؤثرات الادراكية الحسية " [20]. يرسم الفنان العمل الفني من الاحساسات بمواد غفل، تحفظ الادراكات في عالم البداوة والتيه. تؤثر الاختلافات والفراغات والنقص في تركيبة العمل الفني تاثيرا بليغا في تحديد وجهة الاحساسات، وتعيين اهتزازات الادراكات في المادة. يحفظ العمل الفني الادراكات، لانها مادة الصيرورة وخيط زمانها الابدي.

ما يميز الفنان عن الاخرين، انه يستطيع ان يتقبل القوى الادراكية ويتفاعل معها، وياخذ بالمؤثرات التي تنبعث ذبذبات متموجة شديدة الوقع. توجه المبدع الى استلهام الاسلوب الذي يسمح بنحت الوجود، وبتسخير العالم للسكن الابدي، وللانخراط في اهتزازات الكون وحركة الصيرورة. فاذا "ما توصل الروائي او الرسام الى الحصول على المؤثر الادراكي كنبع مقدس، والى رؤية الحياة في

الحسي او الحسي في المعاش، فانهما يعودان منهما وعيونهما حمراء لاهثي الانفاس"[21]. يبدع الفنان من عمق الادراك، بعد ان يصاب باغماء الارتباك من المؤثرات الادراكية. تلك عين الحدث الفني. ان ننال من الطبيعة ما يحدثه المؤثر الادراكي، حتى "ان الفنان يضطر الى الاستلقاء على الارض، كما يفعل ذلك الرسام ايضا، للتوصل الى اللقطة أي الى المؤثر الادراكي"[22].

يعبر الفنان عن انفعالات ادراكية، نتيجة لتاثيرات ادراكات اولية تسبقه وتسبق ولادة العمل الفني. هي مجموعة خطوط هاربة محكومة بنسق المتعدد، فالتناغمات الموسيقية هي انفعالات، والالوان على اللوحة هي ذاتها ادراكات، سواء كانت منسجمة او متناثرة. يعتقد ديلوز ان الادراكات الاولى منفصلة عن ادراكات الفنان واحاسيسة، التي ولدتها تاثيرات ادراكية وهي متحررة من سلطة المادة، يبدع الفنان كتلا من المدركات والادراكات، وينسج منها نسيجا من الاحاسيس. تتحول بفعل الرغبة الى خيوط وخطوط هاربة. شكلت قماشة لحمية كان منها الجسد والعالم وجودا لبعضهما ظهيرا. ان إظهار الادراكات وابداع الاحاسيس من عمق التوحش الارضي، ومن سحيق البداوة، لا يتدخل فيها فعل الفنان تدخلا او تداخلا. فالابداع الفني موصول بالحدث الانطولوجي. يتقوم في مركب الغفل والبداوة. يتشكل المركب خيوطا من الرغبة، نسيجا دون فاعل. ان المركب قائم بذاته، متكشف على ذاته، نسيجه الادراكات والاحاسيس الغفل. "فالاحساسات والمؤثرات الانفعالية لم تعد احاسيس او مشاعر، فهي تتعدى قوة الاشخاص الذين تعبر عنهم"[23].

ان كانت مهمة الفنان ان يرفع الحجب عن العمل الفني، ويمنحه مواده وشكل تركيبته، وما يحتاجه من الوان وخامات، فانه يظل غير مسؤول عن التشكل الانطولوجي، وعن الادراكات التي منحته صورته الفنية. فالعمل الفني قائم بذاته، منبعث من الاصل الاول ومعبر عنه، متكلم لغته حاملا لاسئلته. ليس الفنان وحده من يرفع مقام العمل الفني. ليس النحات هو من يجعل منحوتته عملا قائما فوق الارض. العمل الفني كائن قائم بذاته، كائن وصائر قبل ان يتدخل الفنان. يحمل العديد من النقائص. تجتاحه الفراغات. تتضرس على جسده النتوءات والروابي، التي تفصل وتجمع بين المسطحات. ان عدم الواقعية

في العمل الفني هي الميزة الاساسية التي تجعل منه عملا قائما ومتحققا ومتماسكا. قد يحمل العمل الفني كثيرا من التشويه والاخطاء، الى درجة الالتباس والشذوذ التي تتعارض مع الواقع، كما هي اعمال فرنسيس بيكون، التي حملت اشكالا ممسوخة، جعلتها قائمة ومتماسكة. فالعمل الفني لايشكله الواقع، ولا تعبر عنه المادة. يتشكل تلقائيا من الادراكات والاحاسيس البدوية. يحفظ نفسه بذاته، فهو كائن انطولوجي، يدوم ويستمر حتى وان تفككت مواد قماشته وتلفت مكوناته.

يرفع حدث الفن حدث الانسان، حتى وان كان غائبا. فما يعبر عنه العمل الفني لا يعبرعن الاشخاص والاشياء. ما يرفعه الفنان عملا فنيا هو ما نفذت اليه الرؤية، دون ان يجسده الواقع. ينسج العمل الفني من خيوط الادراكات والاحاسيس عوالما من الغفل والبداوة، قبل ان ينشأ الانسان من التراب خلقا اخر. "انه لغز سيزان، وهو ان الانسان غائب، ولكنه قائم بكامله في المنظر"[24].ان ما يظبطه العمل الفني هو الادراكات الاولى، التي نسجت قماشة العالم في احسن تقويم. جسدت الصيرورة في حركتها الابدية. سمحت للفنان ان يمتحن الادراكات الاولى "في المناظر اللاانسانية للطبيعة" [25]. هي ضرب من المواد الغفل، ولحظة استثنائية من لحظات العالم، لاتتوقف عن الحركة، ولا نستطيع ايقافها وابطال ديمومتها.

يصبح الانسان حدثا، يخرج من بين الادراكات والاحاسيس وجودا في العالم. او ينبلج من حدث الادراك، يعبر عن بعثه الفن وجودا في العالم. ان نتحدث عن الحدث الانطولوجي، وان نعود الى لحظة البدو الاول انفجارا كونيا، بعث الحياة على الارض، وسن صيرورتها من عناصر مثناثرة، يستحيل تجميعها والسيطرة عليها. نفهم ذلك، ان الانسان كان كما كان العالم كتلة من الادراكات والاحاسيس، ونسيج لقماشة ادراك فطيري غير مرئي وافتراضي. ينهمك الفنان على امتداد تجربته الابداعية للتعبير عنه دون ان ينال شرف تعيين موضعه. يظل الفنان منهمكا، يكابد التيه في عالم البداوة والترحال، مشدودا الى خيوط الرغبة دون ان يبلغ المنتهى، يشده الفن الى الحدث الكوني، والى الانفتاح على افق الصيرورة، قصد الانغراز في قوى الكون العظيم. ترفع مقامه مقاومة

للكاووس، عنادا ضد الخواء في رحلة وترحال لترسيم الانسان في فجوة الوجود المتواطىء، يصير ادراكا واحساسا في الادراك وفي الاحساس. ذلك ما أبانته اعمال فرنسيس بيكون الذي يخرج الجسم عن طبيعته، ليمنحه طبيعة لا عضوية، تحوله الى رغبة متناثرة والى خيوط لا تختلف عن خيوط قماشة العالم : تدرك وترى وتبدع وتتلاقى. "تمنحنا عيونا في كل جسدنا في الاذن والبطن والرئة"[26].

قام حدث الفن على هذه الفراغات وعدم الاكتمال. لم يكن منذ البدء حمالا للواقع ومعبرا عنه. كان دائما يحتمي بالتجريد، ويهرب الى التفكير بالمفهوم. توجد من الاعمال التي لم تبلغ جدارة الابداع الفني. عبرت عن الكمال والاكتمال دون ان تستوفي شروطه الانطولوجية. لم تترك في جسدها فراغات او نتوءات استجابة لنداء النقصان وعدم الكمال، وتفاعلا مع طبيعة المركب لكي يحفظ ذاته ويجسد عهده. لم تستجب في اخر الامر الى تلك اللغة المتلعثمة التي تتكلمها الادراكات، لكي تعبر عن وجودها في المادة الخام. وهذا ما يفرض وجود مسطح تركيب واسع. ليس مخططا مسبقا بشكل مجرد، وانما "يتبين مع تقدم العمل، ويفتح ويخلط ويفكك ويعود، فيركب مركبات غير محدودة، وفق تغلغل القوى الكونية"[27].

تتجسد صلابة العمل الفني وتتحقق ماهيته الانطولوجية في تلك الفراغات والنتوءات، وفي عدم اكتمال القوى الادراكية للفنان، لملء تلك التجاويف والربط بين المسطحات. للعمل الفني ادراكات خاصة، هي من تحفظ عهده وتصونه من التلف. تتصلب في المادة الغفل خيوطا وخطوطا من الرغبة. تتنبت و تتجذمر على مسطح المحايثة. تلك الخيوط هي النسيج الادراكي الذي يمنح العمل صلابة واقتدارا على المقاومة والبقاء. رغم ان سيزان كان مهتما بالانطباعية ومتاثرا بمنجزات اعلامها، الا انه خرج عنها وانتقدها. لم تستوف شرط امكان اللون، ولم تمنحه الصلابة الكافية ليكون اكثر اقتدارا على مقاومة التلف. لم يكن الخلط المنظوري للالوان بتلك القوة الآسرة التي تحرض سيزان على الانخراط في التيار الانطباعي الى النهاية. خرج عن مرسمها دون ان يضيف اليها والى الوانها شيئا جديدا. كان "يبحث عن صلابة اخرى، وعن قواعد اخرى، وعن كتل اخرى"[28].

ليست كل الاعمال الفنية التي تعرض في قاعات العرض، او في المراسم الخاصة تمثل اعمالا فنية، بكل المقاييس الابداعية والانطولوجية. يعتقد ديلوز ان المقياس الحقيقي لتحديد فنية العمل الفني هو الصلابة والانتصاب وجودا وصيرورة ومقاومة. تتجسد الصيرورة في الفراغ وفي عدم اكتمال العمل. أي، في تلك اللعثمة والبلبلة التي تظهر عدم قدرته التعبيرية عن تلك القوى الادراكية المتناثرة في الكون، والتي كان من خيوطها نسيج العالم وقماشة الجسد. تولدت من رحمها الرغبة في الحياة. بلاغة العمل الفني في مستطاع اقتداره على حفظ ذاته. ولا يحتاج الى من يحفظه، "لان كل ادراك يتراكب مع ذاته، كل شيء يقف على الارض وفي الهواء، ويحفظ الفراغ ويحفظ في الفراغ، وهو يحفظ نفسه بنفسه "[29].

لا تتوقف تعبيرية العمل الفني على بلوغ المسطحات الادراكية، وتفعيل حركتها الذاتية في اتجاهات مختلفة. لا تلتقي حول نقطة مشتركة واحدة. يعبر الحدث في الفن عن الكوني، منه تصير الكينونة وتكون الصيرورة انفجارا كاووسيا. تتناثر فيه الادراكات شذرات وشضايا باتجاه مستقبل مؤجل، يرسم مروية الفن الكبرى. مثل الكوني في عيون الفنانين الحدث الاعظم. يسبق كل الاحداث الكبرى التي سطرت مرويات الانسانية دون ان ياتي عليها التاريخ، لانه لا يتصالح مع تاريخيته وحتمياته. لا يبلغ الفن مسعاه الانطولوجي الا من نافذة الكون ومضاءته. تنبع من نسيجه الادراكي كل الموجودات، ترتبط بانفجاراته وانهياراته، وتتشكل من خيوطه. يظهرها الفن خطوطا وشذرات منثورة، تتحدد في المادة اشكالا غير معينة. "يبدو بيت مونيه بيتا تنهشه باستمرار القوى النباتية لحديقة هائجة لفلك من الورود، انه كون فلكا ليس لحما" [30].

ان مهمة الفن ان يتكثر الادراك الغفل، ويتفجر لغة متلعثمة لا يتكلمها البشر. ينصتون الى ندائها في صمتها المطبق، وينغرزون باجسادهم الفطيرية في خيوط تتناثر هباء، لتنسج قماشة شفافة، او مادة خام غير متعينة. يدركها الفنان احساسا وانفعالا لنحت الوجود. تتجسد الادراكات في بداوتها وتيهها وحركتها خارج التموضعات والحدود، دون ان تنال موضوعا محددا. يتكثف الادراك في صيرورته وفي رغبة خيوطه على تضفير العالم نسيجا من الاحساسات

التائهة، دون وجهة متجذمرة على السطوح. تتنبت بين السفوح والممرات الملتوية. تترك بين ربوة وربوة اثار انبثاقها واختفائها. هي المؤثر الادراكي الذي يلفت نظر الفنان الى البؤر الادراكية التي تتحرك للتشكل في المادة الخام. تحتاج الى من يشحنها بمستطاع الرغبة واقتدار الزمان، للانخراط في حركة الصيرورة عودا ابديا على الدوام.

يظل العمل الفني كائنا حيا متزمنا ومتجذمرا على السطوح وبين الطيات، في استقلالية تامة عن المبدع، لكونه مستقل بذاته وبعالمه الانطولوجي الخاص، الذي شكلته عناصر وادراكات بدئية لاتحتاج الى بدو في الزمان وفي المكان، هي صيرورة تتخلق الزمان المستقبلي عودا ابديا على بدء. تقوم بدون الانسان، لان "الانسان سواء كان منحوتا في الحجر او مرسوما على خامة اللوحة او مدونا عبركلمات، فانه يبقى مركبا من المدركات والانفعالات" [31]. توجد مؤثرات ادراكية للاشياء، تتجاوز ادراكات الفنان. يفرضها الفن ويمنحها التبدي والانكشاف دون ان ينال منها الفنان ماخذا عظيما. فهي تراه وتدركه، وهو غير ذلك، لكونه جزء من عظمة رؤيتها. ذلك وهب الفن في بلوغ معراج الحدث حدثا انطولوجيا صادما ومرعبا، بعد "تفكيك التنظيم الثلاثي المؤلف من المدركات والانفعالات والاراء، ليستبدله بنصب مركب من المؤثرات الانفعالية والادراكية وكتل الاحساسات التي تقوم مقام اللغة" [32].

يولد العمل الفني من رحم مسطحات غير محددة الاتجاه والوجهة. ينبعث من مسطحات لا متناهية فى الفوضى، تتداخل وتتعارض، تتشابك وتتنافر عموديا وافقيا في مسارات لا تخضع لمنطق الحساب الهندسي. رغم العماء والخواء الكاووسي، يظل الوجود واحدا صمدا في عناصره وفي غفله اللوني، لكونه حدث كائن في صيرورة، تتخلق في أبديتها صيرورات لا متناهية، "تجعل الوجود في النهاية وكانه موحد اللون، المسطح الكبيرالوحيد الملون اللامتناهي، أحادي اللون" [33].في الحدث لا يختلف مركب الفن عن مركب الطبيعة. يجمعهما الادراك في مركب لوني على مسطح المحايثة. ينقل الفنان ادراكاته المتناهية الى تعبير عن ما يشد الانسان الى العالم. يحول عوالمنا الانسانية الى ادراكات واحساسات لا متناهية، تعبر عن الغفل الفطيري للوجود حدثا بدويا على بساط

التيه، متجذمرا على مسطح التركيب. يمنحنا فهم تواطؤ الوجود من حيث هو حدث فني، يضاعف من الرغبة في طلب "الانتصار للعالم كما هو، والايمان بالحياة كما هي في اختلافها وتنافرها وتعددها. اثبات العالم ضد العدم، والحياة ضد الموت، وترسيخ المرح، واعلاء بهجة الفرح وقوى الطبيعة والارض ضد التعالي واخلاق الالوهية"[34].

يصبح سؤال ما العمل الفني؟ سؤال انطولوجي. طرحه الفنانون و النقاد واجتمعوا حوله لكونه سؤال حدث عظيم هم فيه مختلفون. تلك هي مهمة الفن الاساسية. ان يجمع ويفرق بين الاراء في الان ذاته. فما يعبر عنه لا تستوعبه اللغة و لا يتحمله المعنى، لانه الاصل الذي تحدث عنه هيدغر في ما فكر فيه لإنهاء الميتافيزيقا ومجاوزتها. وما تحدث عنه سيزان لما جعل الابداع نحتا للوجود من الغفل او من الادراكات والاحاسيس. ينظم ديلوز الى العابرين لضفة الفن، انقاذا للمصير من باب الادراك الغفل والمتوحش، الذي تضرس كالطفيليات بين ربوة وثنية، وتاه في البداوة دون مستقر، فهو الهباء الافتراضي الذي يمنح الانسان مستطاع الرغبة في الحياة، والتزمن في الصيرورة تزمنا ابديا. ان كان الفنان يسخّر الارض وهبا لنسج قماشة العالم، فهو يسخّر الادراك والاحاسيس المتطرّسة في المادة الغفل، وفي الخامات الفطيرية، لانها الاساس التي تنبت من رحمها الموجودات.

لا تتوقف مهمة الفنان على ابداع الصور الفنية، فهذا امرلا إختلاف فيه في الظاهر،وعند الذين يقدسون الجمالي ويمنحونه موضوع الفن. يعتقد ديلوز ان الابداع مسالة انطولوجية تتخطى الثقافي، وتتصل بابداع المؤثرات الانفعالية في تداخلها الحميمي مع المؤثرات الادراكية، التي نصير بها ومعها الى المركب لنكون في عمق الحدث. مهمة الفنان على الدوام، ان يكون نحات وجود كما يعتقد سيزان. وملتقط صيرورات، لاجل اضافة متغيرات جديدة للعالم، منبعها تلك الادراكات الفائضة بداوة وتوحشا، والاحاسيس المتموجة بين ربوة وربوة التي تخرج من بين الرغبة والصيرورة دفقا، هو الزمان الابدي. يسمح الزمان للانسان ان يجعل من حياته مساحة للمفاجاة والاستغراب، ومضاءة للسؤال عن بداوة متنافذة على التيه والضياع، منغرزة في غفل الادراكات الاولى،

التي تجعل الفن حدثا انطولوجيا لا يعبر عن ادراكات الفنان، انما يظهر الادراكات الكونية في فوضويتها واشعاعها خيوطا ونثرا، وما بينها من صيرورات. فللحجر صيرورة، وللالوان صيرورة، وللمواد المتخثرة صيرورة، وللجسد صيرورة. لكل الاشياء صيرورات في صيرورة الكون سابحات.

يؤثر الادراك في المجودات. هو الاصل الاول. يمنحها الحركة في الزمان والمكان. يسمح لها بالانخراط في الصيرورة. تظل الموجودات في عطالة وغفل وفوضى. يرفعها الفنان بفعل المؤثرات الادراكية الى بساط التعبير ومنطق المعنى، والى مسطح الرغبة خيوطا من الاحاسيس. ان الرسام حين يرسم عملا فنيا، فهو لا يرسم الا الاحساسات، وما يقوله الادراك. يمنح الادراك المادة الغفل احاسيسها، قبل ان يمنح الفنان مستطاعه التعبيري. فالعمل الفني هو عالم محض، قماشته منسوجة من خيوط الهباء الادراكي والفوضى الكاووسية المتجه على الدوام الى الابدية. ان حركة الفنان متصلة بالادراكات الغفل وموصولة بما تمليه الاحاسيس الخام. فحركة الفرشاة عند الرسام ليست متصلة بحركة اليد وحدها، انما بحركة الادراك اللوني، استجابة لما يتطلبه مركب الادراكات. "ان الاحساس ليس ملونا، فهو ملون كما يقول سيزان"[35].

مايشرع له الفن وما يتوق اليه الابداع، هو التاكيد على انطولوجية الحدث، وعلى ان ماهية العمل الفني تحرر الادراك من سلطة الموضوع، و تنقي الاحساسات من ميتافيزيقا الذاتية. ان ينكشف الوجود ادراكات لا متناهية في البداوة و الغفل، متكوثرة على مسطح الرغبة، ومتحركة على هزات الصيرورة. ما يعبر عنه الفن ليس الواقع العيني، فما يطاله الابداع هو ان ينال الفنان من مضاءة الادراكات، يرفعها في بدوها وغفلها الى عمل فني، دون ان يتدخل في تنضيدها او في مسحها او في طريقة انبلاجها خيوطا وضفائر من الهباء المنثور. فاذا كان للفنان اسلوبه الخاص في ادراك هذه الادراكات، فان للعمل الفني اسلوبه الخاص في الانكشاف والانزراع في الخامات، طالما هو هذه الادراكات والاحاسيس في تنوعها وفي اختلاف ظهورها. "العمل الفني كتلة من الاحاسيس الحاضرة لا تدين الا لنفسها في حفظ ذاتها، وتمنح الحدث المركب الذي يشهره"[36].

يعتقد ديلوز ان حدث الفن ليس حدثا قاريا، كما كان ادعاء الفلسفة. ليس كل ابداع هو نتيجة لتمركز الذات القارية. يخرج الفن عن المركز، يعبر عن الانسان وجودا في عالم من الاختلافات الانطولوجية. ان ما رسمه فان كوخ من اعمال تصويرية هو رسم للادراكات والاحاسيس التي تصل الانسان بالوجود، وهو استجابة لحركة الصيرورة في دفقها الزماني نحو المستقبل، للانتقال من المعيش الى الادراك، ومن الاحساس الى الانفعال. وتلك مزية الفن، ان يرفع نداء الحدث الذي لا يسمع الى عهد انطولوجي يشد الانسان الى البداوة، والى الرحيل في متاهات الرغبة، التي تجعل من الفنان اكثر قدرة على تحمل مشقة الرحلة الى ما هو عابر وافتراضي، او مفاجيء، دون ان يتقيد باملاءات الكلاسيكية. ان يبقى على الدوام في قلب الحدث محرضا ومقاوما. يقدم عملا "لايخضع لقواعد مسبقة، ولكنه يسعى لوضع تلك القواعد اثناء تشكيل العمل الفني ذاته"[37].

الحدث الفني امر جليل ومريع، يصعب تحمله والبقاء تحت ظله، ينشد السلبي والقبح وعدم الاكتمال، ويدعو الى الثورة على اليومي. شكل الحدث الفني نقاط التقاء يجتمع حولها ديلوز مع ليوتار، رفضا للفن الواقعي الذي يمنح الاحساس بالوحدة الاجتماعية وبكليانية السلطة، وبهذا يتم اختزال فردية الفرد، "وتقويض ثورة العمل الفني في مواجهة المجتمع". نتعلم من الفن ادراك طبيعة الصيرورة في ذريرها وتناثرها. تخرج عن الكتل الكلية، وعن الروح الذي جسد الدولة الكليانية وحدثها المطلق ،مع هيجل، في خطوط غليظة، حاصرت الصيرورة وسعت الى الامساك بخطوطها الهاربة. منحت المؤثرات الادراكية الفنان الاقتدار على تشكيل رؤية للحياة. حرضه على التقاط الصورة في جنينيتها وغفلها. يهبنا الابداع الفني مستطاع التعبير عن ما يحرر الحياة من سلطة الخيوط الغليظة. ومن ميتافيزيقا اليومي، دون ان نلغي الميتافيزيقا ونتجاوزها. "لم اهتم بتجاوز الميتافيزيقا او بموت الفلسفة"[38]، كما علمنا فلاسفة الانهاء.

يمنحنا ديلوز فهما اخر للفن ، يفتح مسارب جديدة على الابداع ، يخرج بالفن عن سياقه التقليدي. يصبح الفن تعبيرا عن مسرح القساوة الانسانية. يلتقط عذابات الانسان وينفذ الى قلقه في مواجهة ميتافيزيقا العصر. يبحث الفن في ما يعيد الانسان الى بداوته والى بهجة الحياة التي لا يخرج فيها الانسان

عن طبيعته. يدين الفن الصناعة الثقافية ومنزعها الاديولوجي الذي يصعب التحرر من اوهامه وتقويض اقنعته، "لطالما ان الصناعة الثقافية بما هي صناعة الاوهام تبسط سلطانها على كل مناحي الحياة الحديثة" [39]. لم يعد الفن ذكرى وذاكرة، ولم يعد الحدث تخليدا لحدث تاريخي. ليست لوحة بيكاسو "الجيرينكا" عملا يؤرخ او يذكر بحدث مؤلم ومأساوي، وان كان الواقع يؤكد حقيقة الواقعة وتاريخيتها. لايحتفل الحدث بالاحداث، ولا يحيي الواقعات. هو يذّكر "و يعهد لأذن المستقبل بالاحساسات الملحاحة التي تجسد الحدث " [40]. لم يخترق حدث الفن الصراعات والماسي. ولم يتصنع مشكلات الانسانية المؤجلة على الدوام، والمستعادة على الدوام في سؤال ما ينقذ المصير.

يحررنا الفن من غسق التدين الارضي، ومن الحقيقة المطلقة في مغامرة محفوفة بالمخاطر والانزلاقات. ان ما يفعله الفنان هو "اقامة النصب السري لوحدتهم، لصحرائهم، لارضهم الازلية، ولحيواتهم المنسية المهملة"، ولان المؤثر الادراكي لا يفعل فعله الا لمن استطاع اليه سبيلا، واتسعت رؤيته على ادراك المرئي مرئيا، حازت رؤية الفنان على قوى ادراكية مضاعفة لايبلغها الا العابرون برغباتهم الى مسطح المحايثة. هي قوى الصيرورة المدمرة للسكون، الزاحفة على القوى الارتكاسية وعلى امراض المعاش، لاجل نهاية احتمالية ومفاجئة، يبلغ فيها الفنان موته الحقيقي، او كما يسميها نيتشة الصحة. "وفقا لنيتشة، لم يتم بعد فهم ما تعني حياة فنان : نشاط هذه الحياة الذي يلعب دور حفاز للاثبات المتضمن في العمل الفني بالذات ارادة قوة الفنان بما هو فنان"[41].

لما نتحدث عن الحدث الفني عند ديلوز، نتحدث عن حدث الادراك او حدث الصيرورة في بداوتها المتوحشة، دون انتقال من حالة الى حالة. فالصيررة تجسدها صيرورات، هالة متشابكة دون وجهة، والحدث انفجارأعظم لا يتقطع حبله ولا تنفرط حباته. انها الصيرورة الابدية التي تلف وتدور وتتكور وتنسج وتفكك، وتفعل كل شيء بامرها دون امر اوعلة، لا لاجل الحاضر بل لاجل الحدث الاعظم، هذا الزمان المقبل من المستقبل، المنغرز في حدثية الوجود والمتشابك مع صيرورة الحياة. وحدها الحياة تخلق مثل هذه المناطق، حيث

ينداح الاحياء باستمرار، و "وحده الفن يستطيع ان يتوصل اليها، ويخترقها مشروعه المشارك في الابداع"[42].

يتنبّت الحدث الكوني في مسطح المحايثة، يتجسد في الفن مسطحات هندسية باشكال مختلفة. تلك المسطحات آيات ادراكية، تنعطى للفنان وهبا لابداع ما شكلته الطبيعة سخاء وتسخيرا. يظهرها هياكلا لحمية غفل. تمنح الاحساس الاقتدار على التكيف مع الطبيعة الغفل بخاماتها والوانها وجسدها الفطيري، الذي تتجذمر على سطوحه طفيليات، تحيل الرؤية الى العمق والى اللامرئي والى هندسة المسطحات، التي شكلت بنية العمل الفني، واظهرت تركيبته المرئية واللامرئية، ودونها يغدو دون روح وعهد. يمنحه الانخراط في البدو الاول. يصله بالارض البوار التي تتناثل من فطيرها المسطحات، وتتصل ببعضها البعض لهندسة العالم وشق تضاريسه، دون ان يتدخل الفنان. أن تتشابك المسطحات في نظام معماري، يتداخل فيه اللون والشكل والخامة جسدا لحميا غير متعين الاعضاء. تندمج المسطحات عموديا وافقيا، تكشف عن شيء لم يكن مرئيا، ويظل لامرئيا. تلك هي المخاضات التي تخرج الحدث، وتعبر عنه دون تجسيده، لانه لا يتجسد ابدا في المسطحات. فهو صيرورة الصيرورات التي تسبق كل انكشاف. تظهر الشيء ولا يظهرها، انما هو علامة وجودها الابدي. تتسطح وتتجذمر على الاف المسطحات والاتجاهات. تتشابك خيوطا وهباء من الرغبة الفالتة من التعين.

انطولوجيا الفن والتفكير في حدث الوجود :

يعتقد جيل ديلوز ان التفكير في الحدث هو حدث في حد ذاته، وهو السؤال الاساسي الذي تنفرد به فلسفته. لكن أي حدث مقصود به عظمة الحدثية ؟. ان حدث الفن هو السؤال البدئي، تنبت وهبا من فطير الطبيعة. لم يكن قبله ولا بعده سؤال يهم الشان الانطولوجي، من رحمه تولدت الاسئلة، وعنه تناثرت الاحداث الكبرى التزاما مصيريا يرفع عن الفلسفة حدثها، ويجردها من دوغمائية الحقيقة، وموطن الحكمة الاغريقية. يمنحها حق التفكير في الحدث تقوى سؤالها. ينال حدث الفن السبق الانطولوجي، لكونه لا يتوطن جغرافيات

مموضعة في المكان. يتجذمر بين الندوب والجروح وخربشات المرئي. يتسلل من العماء ويتضرس في الخواء، "الغاية القصوى للفكر" [43]. يتجاوز الكاووس الحافي من كل لون نحو بدو جديد، اوباتجاه منعرجات لا تؤمّن العودة الى البدء الاول، لكونه مسطح التركيب بين الاحداث الصادمة على مسطح المحايثة.

ثمة مهمة جديدة قديمة للفلسفة يمنحها لها ديلوز. ان تنفرد بابداع ونحت المفاهيم. وان تمنح الفن حرية الحركة في مجاله الانطولوجي. ان يجسد رغبته الابداعية في الادراك على ارض بوار، لم يطأها تعبير قبله، دون ان تتكلمه لغة التداول الثقافي، لكونه حدث وبدوّ للبداوة التي لم تطالها الفاعلية الانسانية. يستقل العمل الفني بذاته. يرفع مقامه حدثا. يعبر عن ادراكاته الخاصة. تسيّد الفن على "المرويات الكبرى" ،وتحركت زمانيته في الصيرورة البدء. معنى التسيّد، ان العمل الفني وليد خطين وخيطين، تبين منهما الابيض من الاسود لون الزمان الانطولوجي ومعنى الصيرورة، حركة يحملها التكرار والعود الابدي عالما متوحشا ينبض بالحياة في غفلها وبداوتها، قبل ان تسطو عليها اليد الانسانية. على الفن ان يحفظ هذه الادراكات الفطيرية من اللوث الميتافيزيقي، التي قاومها المد الفينومينولوجي، دون ان ينال الشفاء. يحفظ العمل الفني مع هيدغر عهد العالم، ويمنحه التجدد والانعطاء. اما مع جيل ديلوز فالعمل الفني حافظ للادراك في توحشه، وفي ألق بداوته. يلتقى العالم والادراك وهبا انطولوجيا لتقوى التفكير بعهد الوجود.

هكذا يرفع مقام الوجود الى حدث ادراكي. لايزول ولا يسقط في العطب، حتى وان زال العمل الفني بفعل حوادث التلف، لكونه حدث انطولوجي سبق الوجود الانساني الى الوجود. يظل العمل الفني الحدث الاكبر. يتضّرس في الزمان التكراري. يتطرّس في الفطير الغفل للارض عودا ابديا، مركب من ادراكات واحاسيس البداوة. تحفظ كيانها وترفع مقام كونها في الفن، الذي يفتح افق الكينونة على السؤال وعلى تسريح صيرورات الرغبة الانسانية المتصارعة خارج موانعها الطفولية التي تتنبت في عمق جغرافيات الشدة اللامتناهية. يقول ديلوز : "إنني لا اطيق كلمة لذة. لماذا؟. لانه بالنسبة لي، الرغبة ليست ابدا نقصا، ولا

معطى طبيعيا. انها توليف لعناصر متنافرة تعمل مجتمعة. إنها مسار" [44] يمنحنا مستطاع اقتدار القوة والفعل وحدس الشدة.

نفهم حدث الفن أنه ينسج عالما من خيوط الرغبة على مسطح المحايثة. ويعين موضعا ارضيا تتنبت فيه شجرة الحياة وهبا وعطاء. ففي العمل الفني تستعاد طوبولوجيا الوجود الانساني في العالم، لتحريره من كل خوف، وشدّه الى التفكيرقلقا على قلق، بما يمنح الانسان مستطاع الرغبة على تحمل مشقة الرحلة في التيه، وفي بداوة متجذرة سطحا وعمقا في التوحش والغفل. أن نعثر في الفن على ما يمنحنا جناح الطمأنينة المتلبسة باطياف الغموض، وعدم المجاهرة بشدة المتعدد. ان نحترف السفر البعيد على بساط الاختلاف. على الفنان ان يرحل في الافاق، وان ينال من نسق المتعدد مستطاع الوقوف المتحرك على مسطح المحايثة، بحثا عن الخيط الهادي الى الارض، والى المكان الذي يتحرك خارج محوره. " لكي يكون ثمة فن، لا بد من تنسيق منفتح على تنسيق مختلف ومتعدد، لان تنسيق المتعدد والمختلف هو من صلب الكون على شساعة مداه ورحابة امتداد ارضيته "[45].

ان نستدعي الحدث عطاء انطولوجيا في حضرة الفن. ان نفهمه البدوّ الاول الذي كان منه الكون حركة متناثرة، تحملها الصيرورة الى الابدية. يستقل الحدث بذاته. يوجد دون علة. يسبق وجود الاشياء ويخترقها. ليس له طوبولوجيا محددة، لانه من يحدد الطوبولوجيات، ويرسم المواضع. لا يميز بين العناصر التي تتنبت على مسطح المحايثة وتتراصف، لا فرق بين الانساني والحيواني، كلاهما الواحد في الاخر نسيجا لا عضويا. يتفجر خيوطا من انفجار كوني يجمعها الادراك حدثا وقوة خارقة، لها مستطاع إذابة الاشكال وتحويلها الى اشكال جديدة، لاتتشابه ولا تستطيع تمييزها، كذلك، لانها من تركيبة جديدة، يصعب الاتيان بها من جديد. هي تركيبة لا تمييز فيها بين الانساني والحيواني والنباتي. شكلت نسيجا لا عضويا لمركب المحايثة، الذي يمنح الفنان مستطاع الابداع، ويحرضه خارج الشروط والدوافع الغائية. وان ينتسب اليه، "وان يبدع الاساليب والمواد البلاغية او التشكيلية الضرورية لمثل هذا المشروع الكبير"[46].

يعتقد ديلوز ان حدث الفن هو حدث ارضي. تنبّت من التربة ذاتها التي أنبتت الكائن الطيني، وكان انسانا سويا. في العمل الفني يعاد تجديد طوبولوجيا الوجود، وصيانة موضع ارضي، يصبح عالما يحرر الانسان من قلقه عن مصيره، ويمنحه هبة الطمانينة ولو لحين. "فالكائنات تحتاج للترنيم وللترتيل والغناء والايقاع لتعين اقامتها في الوجود"، لان هذه الترانيم والالوان والايقاعات هي كتل من الاحاسيس والادراكات، التي تتحدد بها مواضع الكائنات في العالم، ومدى قربها من مضاءة الوجود. ما ينفرد به الفن عن كل التعابير الاخرى، انه يظهر تعبيريا العلامات وكل ما يحيل الى البدو الانطولوجي الاول، لتعيين طوبولوجيا الوجود، وفتح علاقة الانسان بالعالم على إصباح جديد بما يميزه عن كل الكائنات التي تشاركه امومة الارض. ويعمق علاقته بهم، حتى يصبح العالم اكثر اتساعا للاختلافات. وتتجلى العلاقات اكثر صفاء في فجوة البدو الاول، الذي يفجره الفن خيوطا هاربة من الرغبة، ومن الاختلاف الانطولوجي الذي يبدا مع تنسيق الموضع الارضي، الذي يقيم فيه الكائن، فيتميز عن غيره"[47].

لا تظهر الارض سخاءها، ولا تقبل بتسخيرها الا في مسطح المحايثة، ولا تترصف طياتها الا في فجوة الانفتاح والانغلاق التي تحددها طوبولوجيا الفن. يكشف الفن عن كل الطاقات، ويبلغ القوى المتجذمرة على سطحها. تتحرك حول خيط، هو أصل نسيجها وحبل وصلها بالصيرورة انشدادا الى نسق المتعدد، والى منطق المعنى الذي رفعه الفن مهبط الاختلاف، ومعيّن التكرارالابدي. لا يمكن ان يصبح كل منبسط ارضي فنا، اذا لم يصاحبه تيه وهجران وانشداد الى الرحيل بين خطوط المتعدد، التي ظفرت نسيج قماشة العالم، ومنحت الانسان الانغراز في مادة فطيرية غفل. كانت اصل الكون والكائن، "لان تنسيق المتعدد والمختلف هو من صلب الكون على شساعة مداه ورحابة امتداد ارضيته "[48].

يمنحنا الفن تقوى التفكير، و نحت المفاهيم والتضرس في الادراكات الغفل، التي سبقت وجود الكائن في العالم. يولّد حدث الفن الارباكات والاندهاش امام الظواهر. يهجّرنا خارج الثائيات الى عالم خليق بتفعيل اقتدار الكائن على سكن عالم الرغبة، وتوطّن التيه والهجرة الدائمة الى اقاصي امكنة غفل في ارض بوار. ربّ ارض ابدع الانسان من خاماتها عالمه الانساني، وحدد

موضعه بين الكائنات. ربّ ارض منحت الانسان جوازا للتيه على خيوط تشده الى الصيرورة. يحتاج الفنان الى التيه في الصحاري، والى الضياع بين ربوة وربوة، والهجرة بين ضفة واخرى، لا يستقر فيها الانسان على يقين.اذ لا يكفي ان ينبسط مسطح المحايثة لكي نتحدث عن الفن وعن الابداع. ان يدرك الفنان اهمية التيه والعبور الدائم بين الربوابي، على موضع متحرك متشابك الخيوط والخطوط. تتجه سهاما دون وجهة محددة الى ارض، "هي على الدوام تظل متهجرة، تغادر موضعها نحو موضع اخر. لا تعرف الثبات ولا الاستقرار" [49].

تعمل الطبيعة على ملء الفراغ، ومقاومة السديم والخواء الكاووسي. تضم التعارضات لانشاء عالم من الاختلافات. تتحرك في توازن يسمح للانسان من الوجود في العالم، ما يقربها من عمل الفن ومهمته الانطولوجية. رغم الاختلاف العميق بينهما، فهي من تمنح الفن مادته الغفل، وهي ،كذلك، من يتنبت من رحمها العالم، ويجد فيها الفنان الادراكات التي تمنحه الاقتدار على ممارسة الفعل الابداعي، لاظهار العمل الفني ظهورا انطولوجيا فوق الارض، عالما من الادراكات والاحاسيس المختلفة داخل اطار معين. تبدا الطبيعة من الارض، ويبدا الفن من البيت. تتحول علاقتهما الى صراع عشاق، فبين الارض والبيت علاقة حميمية سبقت علاقة الانسان بالطبيعة. كانت البيت او المسطحات التي نحتها الفن وجمعهما في "فن العمارة الاكثر اتقانا، لا تنفك عن صنع المسطحات والرقع والجمع بينهما" [50].

يحتاج الفن الى مسطح تركيب للجمع بين مسطحات مختلفة في إطار. مثل الحبل السري الذي يربط العالم بالارض او بين البيت والكون. يجمع بين المسطحات الادراكية، ويصل بينها. تصبح العمارة إطارا من الادراكات والاحساسات التي ادركها الانسان منذ بدوه الاول على الارض. يبقى هذا الفن في حاجة الى مسطح تركيب. "يجري نوعا من نزع التاطير وفق خطوط هاربة. لايمر عبر الارضية الا ليفتحها على الكون" [51]. تنجز الطبيعة مسطحاتها بذاتها، وتنظمها في اشكال مختلفة. تعبر عن الكون وهو عين التقابل بين الطبيعة والفن. لاتحتاج مسطحات الطبيعة الى مسطح تركيب اوتاليف، فمسطحاتها لا تخضع لتحولات من الداخل الى الخارج، او من العمق الى السطح. مسطح الطبيعة مسطح كوني

لا متناهي، لا تحتاج خيوطها الادراكية الى نساج ينسج قماشتها، او ينضد بساطها المفتوح على الداخل وفي كل الاتجاهات. للطبيعة قوى ذاتية ورغبات شديدة الخصوصية. يصعب على الانسان تحديد درجة شدتها.

يحولنا مسطح التركيب من الوقوف على الارض الى الانخراط في صيرورة الكون الابدية. لم يعد للارض وجودا واقعيا في العمل الفني، رغم وهبها وتسخيرها لموادها الخام موادا اساسية لتشكيله نسيجا من الادراكات والاحساسات الاولية. بحيث "لا يتبقى للارض ثمة مكان، بقدر ما تغدو مجرد خطوط بيانية تسوّي خط النتوء المجرد"[52]. تتزلزل الارض وتتكور، تتراصف تربتها وتتبدى طبقاتها في حضرة الفن. تترصف طاقاتها وتتناثر هباء وتها الى المستقبل الذي لم يات بعد. للارض مستقبل ندرك حركته وو جهته في العمل الفني، الذي لا يكون دون وهب الارض وتسخيرها. ذلك حال الكون في التباسه وغموضه وفي صلته الابدية بالفن. تترصف المسطحات وتتفجر الادراكات على مسطح التركيب خيوطا نثرا منثورا. تتفجر من بواره قوة كونية تلفت الانتباه. تشد تقوى التفكير وترفع مقام السؤال. تتصادم وتتناوب مؤلفة عالما سابقا عن الانسان، حتى ولو كان من صنع الانسان"[53].

ينشد الكون الى بدء اول، لم يستطع العلم نيله والوصول اليه، رغم ما حققه من انجازات واكتشافات. فالى الان لم يتمكن الانسان من املاء ارادته على الطبيعة. ولم ينتهي من اكتشاف كل القوانين التي تمكنه من السيطرة على مباغتاتها المفاجئة. تبين ان الكون مشدود الى إصباح لن يناله العلم ولن يستطيع اليها سبيلا. ما لم يبلغه العلم ولن يبلغه هو مرج الادراكات و الطاقات اللامتناهية و المتناثرة نسيجا من الهباء. يستطيع الفن دون العلم التعبير عنها ولو لحين. هي تتجذمر وتتسطح تموّجا بين ربوة وربوة. تجد صداها في الفن على شكل صيرورات مستقبلية ومتنافذة على ما هو انساني. تتمدد وتتكوثر على مسطح المحايثة. تتناثر على تربة الارض. تتفاعل قوى حية، يفعلها الفن ادراكات واحاسيس. تسمح للانسان بالحركة والتعبير عن موقفه من الكون. أليس الفن انفتاحا على الكون لتجميع ما يختزنه الكون من طاقات وتكثيفها في كتلة واحدة ..هو العمل الابداعي"[54].

يمنح ديلوز الحدث الفني رفعة المقام الارضي و وهب انطولوجيا العالم، لكونه من يعبّر عن الكينونة والكيان، ويرفع مقام الانسان وجودا في عالم الرغبات المتسارعة نحو معراج الصيرورات، وجودا في العالم، وانصاتا لنداء الشدة اصغاء لا يسمع. في الحدث الفني، يتحرر الانسان من احداث اليومي، ويمنح لنفسه رهان الترحال في فجوة الصمت، وفي بداوة العالم انشدادا الى المعنى في منطق المعنى، دون ان ينال منه الشفاء. مثل فرانسيس بيكون الفنان التشكيلي الذي كانت اعماله اكثر اقتدارا على التعبير عن الحدث الفني. جعل من اعماله لحظة انطولوجية واجهت الخواء، وانفتحت على فجوة الفراغ باسلوب تعبيري. رسخ قدم الانسان على ارض متحركة ." اننا بالاحرى امام فضاء نعبره في حركة واحدة بسيطة "[55].

يدفع الابداع الفني بالانساق الكبرى الى الانهيار، والى الانفتاح والخروج عن مساحة الدائرة المغلقة. تنهار مركزية الذات تتمرد على مركزيتها. لم تعد تتحمل دفق المتعدد ونسق الاختلاف. لم تعد تستطيع المقاومة. يرسم الفن خريطة جديدة للعالم. يمنح الحياة رقصتها الاولى. يتفرد بخط " خيط يتوسط الاقطاب المتضادة على طول انتظام نسقها وعلى مدى افق صيرورتها المستقبلية "[56]. هكذا يعمل الفن عمله خارج سلطة الخطاب دون ان يتورط في مضاعفة اليبوس، بل انه يفرض مقاومة تاتي على الثنائية فتمزق حجبها وتعبث بقطبيتها، وتنثرها هباء منثورا في كل جهة و وجهة.

شكل العمل الفني حدثا يمنح الانسان جواز العبور الى البدو الاول. ينبّته في مضاءة اصباح متوحش، وعلى ضفة متحررة من الابلال الميتافيزيقي، ومن كل القوى الارتكاسية التي تناهض بهجة الحياة وتنفي مرحها التراجيدي، الذي وجده ديلوز دفقا صيروريا متكررا في الفرق والاختلاف. سنّه الفنان النيتشوي ارادة اقتدار على الابداع والتعبير. يمنح ديلوز نيتشة فيلسوف الرغبة المتكثرة في الجسد. تحول مهماز نيتشة الى حدث ضاعف من اهمية سؤال المستقبل. يطرحه فنان متفوق لم يولد بعد، ولم يحدد موعد قدومه الصادم الى العالم، سعيه ان يحرر الانسان من الاذعان لقوى الشر والارتكاسية، وان يهبه بهجة الحياة بعد ان اماتته الحقيقة قرونا، واستفردت به ذاتية ميتافيزيقية لم

تستطع مطرقة التقويض هدمها، وتقويض ابنيتها وتفكيك اختامها." لهذا كان الفن هو الانطولوجيا الوحيدة الممكنة التي بها يتحقق تركيب الواحد والصيرورة. وكان هو التعبير الارقى عن تواطؤ الوجود"[57].

يصبح نيتشة حدثا في حد ذاته. فكر خارج المرجع الوثوقي للمطابقة، الذي حاكم صيرورة المعنى بقواعد منطق الهوية. يصبح الفن " تغييرا وتحويلا في صورة الاشياء، وهو لهذا اكثر واشد تحقيقا للحياة من الحقيقة التي ليست سوى تحنيط لما يظهر". عندما يتحول الفن الى مستطاع اقتدار، لكي لا تقطع الذات انغرازنا في العالم، ولكي لا تميتنا الحقيقة، ولان الفن تقوى الوهب والصيرورة، فهو ليس من طبيعة الفكر المحلق الذي يفكر في ما يستطيع اليه التفكير سبيلا. يفكر الفن بالحياة، ويبدع نسيجها ويطرح اسئلتها. يمنح الفنان مستطاع الكشف عن النسيج الفطيري من الخيوط والخطوط الهاربة والمجردة، للتعبير عن منطق الاحساس، وعن الادراكات المتوحشة على مسطح التيه والبداوة ،تاكيدا لبهجة الحياة الراقصة فوق صمت العلامات. يشدها خيط البداوة الى فضاءات ينشط فيها الترحال والتيه "يتغير بداخلها النضال، يتنقل. تعيد الحياة بناء رهاناتها، فتواجه عوائق جديدة، وتخلق هيئات جديدة، انها تغير الخصوم. لا يمكن ان نعتقد مطلقا ان فضاء صقيلا يكفي لانقاذنا" [58].

يضمّ الحدث الفني الخط الهارب في كل الاتجاهات الى حركة الصيرورة، والى رحم الحياة في بدو عطائها. يتشكل العالم من خطوط هاربة غير معينة الجهة والاتجاه. هي الخطوط والخيوط التي ينسج منها الفنان نسيج العالم في عمل فني، متفرد باسلوبه ومختلف برؤيته للاشياء. ينفلت الخط الهارب من سلطة الثنائية القطبية. يظهر خطا مجردا موغلا في التجريد متنفذ في الادراك الحي. " هي خطوط تظل تفلت باستمرار من قبضة ما هو ثنائي الاقطاب المتعارضة، لتحدث علاقات جديدة وتجاور ما هو متقارب" [59]. يخرج ديلوز عن منطق الجمالية الكلاسيكية، مستفيدا من اعمال بول كلي ومن انتصاره للشكل وعودته الى الشكل البدوي، للتحرر من ميتافيزيقا الصورة. استعان بالتقاطع بين المادة والشكل، وبالفطير اللوني للطبيعة لتسويغ اشكال جديدة قادرة ان تمنح الانسان الاقتدار على الوجود في العالم.

يتسلل الفن من فجوة الحياة ودفق صيرورتها. يعبر عنها تعبيرا يدهشنا، ويدفعنا للتامل في وجودنا اليومي، وفي شرط امكان مجاوزته. لا ياتي الفن على استنساخ صور الحياة ومحاكاة حركتها وتمثل زمانها. تلك مهمة الميتافيزيقا. يولد الفن من صلب الحياة. يعبر عن صمتها وعن ادراكاتها الغفل، دون ان ينال من كشف وجهها، انما يستدعيها لا كما يريد، انما كما تريد هي. ان تتزيّ في عشمها وحشمها والتباسها، قرين التطور والتخلق وعدم الانكفاء الى الوراء. فالحياة صيرورة واستمرار وحركة زمان الى المستقبل. ياتي الفن "هذا التثمين الخاص بتحليل القوى والطاقات، ومدى قدرتها على الامتداد خيوطا منبسطة " [60]. هي شدة الرغبة في طلب الحياة. فالخيوط والخطوط التي ينسج منها الفنان العالم، هي الرغبة في الحياة. يعبر عنها الفن عملا فنيا موغلا في التيه والهجرة الى اماكن مهجورة، دون جهة ووجهة طلبا للعود الابدي، " هو المماثل مخبرا عن الاختلاف، هو المشابه مخبرا عن المتعدد، هو المتساوي مخبرا عن اللامتناهي "[61].

ثمة صداقة وقربى جمعت بين جيل ديلوز ونيتشة، هي صداقة الحدث الفني الذي يمتحن المعنى، ويستجليه في فوران الرغبة، وفي تكثر مستطاع جسد انساني رشيق، يعلمنا الرقص الماساوي، ويرفع وجودنا الى مقام الحياة المبتهجة في نزوعها الى امتلاك كمية من الواقع، والسيطرة عليها واستغلالها كارادة للاقتدار و التفوق. ان الحياة عند ديلوز كما عند نيتشة هي حياة الرغبات الاكثر شدة وتشددا على مساحة المحايثة، وهي في النهاية عمل فني يصطنع ما يوجد في المستقبل. وتلك عبارة هيدغر، لما يصل حدث العبور الى المستقبل بمستطاع الفنان، وقدرته الابداعية على العبور من الضفة المقابلة للفن، والوقوف على مسطح المحايثة، للانخراط في حدث الابداع الفني حدثا جليلا. تجسد هذه القربى الانطولوجية هوية الحدث الديلوزي حدثا فنيا ومستقبليا. يراهن على قوى ابداعية لشعب ارق لم يولد بعد. يقوده فنان متفوق، يتوق الى الخلاص الابدي والى ترك وصيته الاخيرة. تلك مزية الحدث الديلوزي، الذي يصبح غير بعيد وقريب من سبينوزا،اذ "لا يخلو هذا المنحى الديلوزي من نفس سبينوزي"[62]. لما يمنح الفن بعدا ايتيقيا .سمح للانسان ان ينغرز رغبة متوّجة و درجات من الشدة والقوة على سطح المحايثة.

ولان العمل الفني حدث لايتكرر، فهو لا يصور الاشياء هو صوري خارج التصويري. يعبر عن حدث يعارض الواقع الذي يرسم احداثا يكررها اليومي. لاتعبر ادراكات الفنان عن الحدث، لكونه لاينتسب الا الى ادراكات غفل، تسبق العالم وما فيه، هي ادراكات اولى، اقوى رغبة واعمق معنى واشد شدة. يستعير منها الفنان ادراكاته واحاسيسه، وهي التي تحرضه على الابداع الفني، وممارسة التعبير عن عوالمها، لكونها تنزيل حدثي من مسطح المحايثة، "الذي هو الوسط الذي لا ينقسم، اذ تتوزع المفاهيم دون ان تلغي وحدته واستمراريته....انها تتوزع بدون تقسيم. فالمسطح يشبه الصحراء التي تؤمّها المفاهيم دون ان تتقاسمها" [63]. ليس الادراك الديلوزي شأنا انسانيا هو الطبيعة الاولى والخامات الغفل والبداوة المتوحشة، قبل ان يهبط الانسان الى الارض حدثا. الطبيعة او "الفيزيس" هي الحدث والنبأ الذي هم فيه مختلفون. الطبيعة عند سيزان صامتة صمت المعنى، لكونها مدركة ومتكوثرة يتجذمر فيها المعنى، وتتخلق في رحمها الحقيقة انعطاء لا تناله العبارة. تتملك الطبيعة احساساتها وتنبت ادراكاتها في الخامات الفطيرية التي يتشكل من نسيجها العالم. ويعبر عنها الفن في الالوان والخطوط والخامات الطاهرة في عالم الكون والفساد.

تفرض الطبيعة اولويتها الانطولوجية على الانسان. ترى فيه وهبا من مستطاعها وادراكاتها. عليه ان ينصت لندائها ويتفاعل مع مطلب خاماتها. وان يطوع ادراكاته للتعبير عن هذا الوهب في الفن. مهمة الفنان ان ينقل ادراكات الطبيعة واحاسيس غفلها الى عمل فني بمقاسات العالم. الفنان المبدع من بلغ به الخيال وشده الحلم الى نقل هذه الادراكات البدوية، والتعبير عنها فنيا باسلوب متفرد، لا يقبل بالاستعادة، ولا ينعطى للتقليد والمعاودة. ثمة احساس بدوي يرسم جغرافية العالم دون منظور او مساحة قبل ان يكون سكنا وسكنى، يبين ان قماشة العالم غير متعينة لشدة تشابك خيوطها، وهروبها المستمر من التعين.هي ادراكات الاصباح لا تعبر عنه المادة، ولا تروضه الاشكال، لكونه المادة الاولى او الهيولى التي لا تحتمل التعين بالفعل. ان تظل خارج الشكل وجودا بالقوة، نسيجا اصلانيا للطبيعة الغفل. "تصبح المادة كلها تعبيرية ،

الادراك هو الذي يكون معدنيا بلوريا حجريا. الاحساس ليس ملونا، انه ملون كما يقول سيزان "[64].

يمنح ديلوز الادراك الاسبقية الانطولوجية. هو الحدث الاول الذي شكل نسيج الطبيعة من خيوط وخمائر فطيرية، ووهبها مستطاع عناصرها بورا وبراحا. وجد الفنان في معينها خاماته للتعبير عن رؤيته الادراكية للوجود. رب حدث اعظم شواش يسبق كل وجود. يرفعه مبدأ الاولوية الى شرط امكان وجود الاشياء والاسماء في العالم. رب حدث يضيء للفنان درب الانخراط في الصيرورة ولعا ولعبا، بما يحرره من انفعالية الواقع وميتافيزيقا اليومي، ويمنحه مستطاع تجديد صورة العالم، وتفعيل القوى الادراكية الناجمة عن الادراك الاول في صور كاووسية لا تحتمل التعين، وفي رؤى تعبيرية متغايرة، يجسدها العمل الفني عوالما للسكن المؤجل، لانها لا تبلغ بالفنان موضعها الطوبولوجي الذي يمنحه القوة والرغبة، ويحرض احاسيسه على الانخراط في هذا المركب.

حدث الفن لغة المتعدد في العلامة:

يرفع ديلوز مقام الفن حدثا. يمنحه الاصل الانطولوجي والبدو الغفل للعالم، لكونه التعبير الذي يصل الانسان بحدث الصيرورة، او الطبيعة قبل ان تتهى و تتناثر هباء منثورا. ليست الصيرورة صفة الانسان التاريخي، ولا هي عنصر من الطبيعة ; هي خواء متشظي وكاووس متعمى. يطلبه الفن وحده مضاءة للانخراط في الحدث. ليس الحدث الا الصيرورة، تظل في حركة ابدية دون نهاية تضعها في بداية جديدة. يحكمها التنوع والاختلاف الموسوم بالشدة، وبمستطاع الانفلات من سلطة المفهوم، وتطابق الحقيقة. تتناثل الصيرورة صيرورات شبحية، لا تقبل بالسكون، تتكرر وتتكور عودا زمانيا ابديا في التيه، وفي بداوة الادراكات الكاشفة عن الصمت وعن منطق الاحساس واحساس المعنى، تعبيرا عن لغة الفن بما هي لغة البدء والتيه في احراش الادراك، و في تضاريس اجساد بلا اعضاء، سبقت البلبلة و ترفعت عن تسمية الاشياء باسمائها، هي لغة الفن كانت وستظل اللغة التي كانت قبل ان يكون العالم. "فاللغة هي الكائن الاسبق بدونها لايستقيم امر "[65].

ثمة خصيصة عرف بها ديلوز، ربما كانت خصيصة ارسطية، وهي ان لا نتعلم من الفلسفة شيئا، انما ان نندهش امام صدمة اسئلتها، وتلك الصدمة التي تنال منا وتدهشنا هي حدث فني بامتياز ما على الفلسفة ان تختبره لنحت مفاهيمها وتجديد ادواتها. الصيرورة هي الصدمة الصادمة التي نندهش من شدة حركتها ومن عنف تعتعتها للوعي دون ان ننالها في ماهيتها ووجودها، وتلك مزيتها ان تبقي الانسان في فلكها على قائمة الانتظار، دون ان يدرك سبب انتظاره ودون ان يعرف نهاية انتظاره ونيل المطلب والمقصد. ليس الانتظار وقتا او فترة من الزمان، هو الصيرورة حدثا يمنحنا قبسا للاحتفاء ببهجة الحياة في مراسم الفن. الحياة عند ديلوز حدث موصول بحدث الرغبة في شدة ألقها الفطيري وفي بداوة الادراك وتيه الانسان. نقلها الفن لغة صامتة دون وجوه متكلمة. تتحول الى اعمال فنية سواء كانت لغة الادراك بالحجر او لغة الادراك باللون او لغة الادراك بالكلمة. ان لغة الفن لاتتكلم ولا تحيل الى الاشياء. هي لغة تعبيرية صامتة تكوّنها العلامات، تتخلق في لغات قطاعية تمنحها شدة التجدد والمتعدد على جهة اللقاء والالتقاء على مسطح المحايثة.

يصبح الفن حدثا لكونه متصلا بالحياة وبالارض ومنغرزا في الوجود، فهو الانطولوجي الذي يجعل العالم ممكنا، رغم تعينه المؤجل على الدوام وباستمرار. يتهجر العالم عن موضعه الارضي لكونه سليل حركة بين سابق و لاحق في خط لا طول له ولاعرض. لا يتحدد ولا يتعين هو خط الصيرورة الابدي ونسيج الرغبة في الانفساح والانسياح على مسطح المحايثة، الذي يظهر اهمية الاسلوب في اعادة توزيع المشهد وخلخلة صنمية الواقع. يصبح الفنان لجوجا "ويكون الاسلوب اذ ذاك نوعا من التأتأة او من اللجلجة او من اللعثمة " ترتبك من خلال أعماله اللغة وتنهار ثنائياتها وتفقد نظامها وانتظامها. ففي العمل الفني تتفكك ابنية اللغة، يدفعها الاسلوب الى النهايات والى التخوم، تخرج عن النسق والمنطق يصيبها ارتباك التعدد وبلبلة الاختلاف، ويمتحنها ارتجاج التنوع خارج هوية المطابقة.

ليس الاسلوب ان نعبر عن الشيء، وننجح في اظهاره في عمل فني متفرد. الاسلوب في الممارسات الفنية هو ان نمارس الخلخلة والتقويض والمجاوزة

والحركة بين خطوط الرغبة في التيه والبداوة على مسطح المحايثة، لارباك انغلاق اللغة وتكتم المادة وسطوة الثنائيات. ان يدفع الاسلوب الفنان "الى الذهاب حتى الغياب، حتى الاحتجاب، حتى اختراق ذلك الافق" [66]. لا ينفصل حدث العمل الفني عن حدث اللغة، يمثل انغرازهما حدث الوجود الاعظم انفجارا من الادراكات، شكلت نسيجا من الخيوط لقماشة يرفعها الفن لغة بوارا يصعب فهم علاماتها فهما محققا، يتاجل ظهورها على مسطح المحايثة طالما ان حدث الفن ليس في الاظهار، انما في لفت انتباهنا الى الخلل الفضيع، والى الخطر الصادم الذي يظل يهدد الوجود. ان لغة الفن ليست لغة حديث وتصريح، يستبد بها التلثم وتاخذها البلبلة الى البداوة صمتا واصغاء. "لقد تعلمنا ان نتمتم وليس ان نتكلم. لم نكتسب لغة الا بالاصغاء الى ضجة العصر المتزايدة بعد ان ابيض لوننا بزبد امواجه العاتية" [67].

يمنح ديلوز الفن لغة الحدث لكونها لغة الاصباح النومادي. تترحل في صمتها وفي تبعثرها بين طيات الادراك وثنيات قوى الرغبة، لتبلغ عتبة المعنى دون ان تكشف عنه، بل تؤجل ذلك الى يوم غير معلوم. معنى ما يرغب فيه ديلوز على امتداد ما كتب، انه يشرع لنظرية تضمن توليد المعنى من رحم المختلف والمتعدد. فلكي " يتم تشريع النسق المتعدد، لا بد من ايجاد نظرية للتعبير حتى تتمكن من تخليص نفسها من الوهم الذي ترزح تحت هيمنته، ذلك الوهم الذي افرزه تصور وهمي للغة" [68].

في الفن تتطهر اللغة من كل اللواحق الحسية. تتحرر من سلطة الدال وتخضعه الى التجدد المستمر والى التكوثر والتكاثر الكثيف. ليست لغة الفن بيانا او عرفانا او برهانا. هي لغة من درجة اولى لا تقبل بالقياس اللساني او المنطقي. " انما ثمة تدخل، مبادرة من قبل اللغة : انه حدث لغوي ". [69] ان دور الفن ان يحوّل اللغة من مجرى الى مجرى. ان يفتح لها منافذ الانغراز في الاصل. تتحول اللغة الى لعثمة والى بلبلة يرتشع في حضرتها الفنان اثناء التعبير واثناء التصوير. أن تتصدع اللغة وتتفجر وتهتز ابتهاجا بانبعاث الادراك حدثا وانفجارا كونيا، انبعث من رحمه العمل الفني عالما للسكن ونداء الى الانسان لكي ينتبه الى

الرعب الخالص الذي تفرضه الطبيعة. "انه الاسلوب النبرة، لغة الاحساسات او اللغة الغريبة داخل اللغة، تلك التي تستدعي شعبا الى المجيء"[70].

ليس ديلوز وحده من استراح في مرسم الفن استراحة المحاربين من تعب مقاومة الابلال الميتافيزيقي، الذي اصاب اللغة وحجب الوجود في النسيان، دون ان يدعو الى مجاوزتها وانهاء تاريخها منعرجا تعلقت همة هيدغر به دون ان يناله في اخر الرحلة. "فلا يعتبر الحديث عن نهاية الميتافيزيقا، انه من الان فصاعدا لن يظهربعد من يفكر تفكيرا ميتافيزيقيا، او من يضع منظومات في الميتافيزيقا"[71]. شرع ديلوز الى تجديد الميتافيزيقا دون ان يلغيها من مدخل العودة الى الاصباح الانطولوجي الذي مثله الفن يمنحنا الفن شرط امكان التفكير من خارج مركزية الذات المتكلمة والترحل تها وهجرة خارج حدودها المتمركزة حول الدلالة. "فكرت الانطولوجيات التقليدية في الوجود بلغة راشحة في الميتافيزيقا. لم تكن قادرة على استيعاب حقيقته. لا يمكن ان تتحقق في الكلمة و لا في التسمية. فتلك حاجة الاشياء والموجودات. وتلك مهمة لغة الميتافيزيقا" [72].

يمنح الفن الاقتدار التعبيري للانغراز في لحمية الحدث. مثل التيار التجريدي اهم التيارات الفنية التي عبرت عن الحدث الفني. فهمت الفن صيرورة لونية تحملنا الى هندسة شكلية من المسطحات. شكلت جغرافية الكون ورسمت جينالوجيته وبينت تركيبته وطبقاته سطوحا واعماقا، دون ان تفرضه في شكل او مسطح معين. اظهرالفن الحدث الكوني قوى من الرغبة غير منظورة، تملا العمق وتظهر العالم شكلا هندسيا، تجسدت فيه حركة الصيرورة وابدية الزمان الانطولوجي. عبرت اركيولوجيته عن لغة متلعثمة متراصفة متجذمرة على المسطحات، يصعب قراءتها او الكتابة بحروف ابجديتها. هي لغة سكنها الوجود وسطرت جغرافية منطق المعنى والاشياء، "أي المرآة الصقيلة التي تعكس طبيعة تصوراتنا عن العالم والفكر. ولهذا فان الاجتهاد لبناء مفهوم يؤسس لجذمورية اللغة ولتعبيريتها، كفيل بتحرير الفكر من وطاة الثنائيات الميتافيزيقية" [73].

تمنحنا لغة الفن الضلوع في استشراف المستقبل، والانفتاح على عتبات النسق المتعدد، وتسريح خيوط الرغبة في افق الصيرورة وعلى مسطح

الاختلاف، طلبا للتيه وللهروب من ضيق المساحة وقصر المسافة التي تصلنا ببداوة العلامات، و توحش اللغة في هروبها من الدال. " فاللغة هي الاسبق، بدونها لا يستقيم امر" [74]. ان اللغة حدث في حد ذاتها، فالفنان ينطق عن الحدث بلغة متلعثمة مبلبلة ترفع الادراك الى الصيرورة، وتفجر الحركة في الزمان رفعا لمقام الوجود، لكونها لغته وعهده، وهي بيته ومأواه، اذا اخذنا بالراي الهيدغاري، "لان مصير اللغة يرتكز دائما في حياة شعب ما على علاقته بالوجود، فان السؤال باتجاه الوجود يبقى في تشابك او تماسك بالنسبة لنا مع السؤال حول اللغة"[75].

يضاعف ديلوز من فهمه للحدث اللغوي في الفن. يصبح الحدث اللغوي حدثا لونيا. اللون عنده وجه الحدث و اللغة قفاه او حركته الخطيّة الدائرية المفتوحة على الفصل والجمع، وعلى التقارب والتباعد. حتى الصيرورة ملونة بلونها الاحادي الذي يضمر في نسيجه قوى التشقق والاهتزاز والتوقع والمصادفة. تتوسع الصيرورة توسعا عموديا وافقيا. تتضاعف مساحات الرغبة على مسطح اللون قوى غير متوقعة. يشتد التوتر بين اللون وعناصر الكون. تتجاذب وتتنافر لرسم مسطحات لامتناهية متنوعة، لاجل تحديد جغرافية مسطح المحايثة سطحا وعمقا. يشد الفنان الى الاصل الاحادي اللون، "كما لو انه اللون في غياب الانسان والانسان متحولا الى لون"[76].

تتحول القوى غير المحسوسة في نظر ديلوز الى قوى محسوسة تظهرها العلامات كمعنى لصورة الحدث الذي لا. تتناثر في العالم وتؤثر في الانسان. تحرض الفنان على تفعيل رؤيته الابداعية وعلى الانشداد الى البدو الانطولوجي الاول. تلفت انتباهه الى فاعلية الصيرورة في حركتها الابدية، ضمانا للكيان وتاكيدا للفعل. يرسم الفنان القوى المتناثرة على مسطح المحايثة. يبحث عن شرط امكان توزيعها وتوسعها فوق مساحات الرغبة نسيجا من الخيوط الهاربة الى اللا تناهي. تتفجر قوى على السطح. تحيل الى تجذمر العمق دون ان ننال رويته. تلك هي القوى الكونية السائحة في اعماق الطبيعة التي فجرت الحدث الاعظم. تميزت عن كل القوى بعناصرها اللونية التي منحتها مستطاع الانكشاف في "المناطق اللامتمايزة التي تبرز القوى المتوارية في العمق : بيكون Bacon"[77].

يعبر الابداع الفني عن الحدث الاعظم، ينفجر الوهب الاول شضايا كاووسية، تتعمق القربى بين السطح واللون. يتناثر اللون في اللاتناهي هباء منثورا. يرسم قماشة العالم من خيوط الاحساس والادراك قماشة لونية. يسود التوتر والفوضى والتقاطع بين الالوان التي تعود الى اصل لوني واحد، والى حدث لوني ينزف من العمق الفطيري الملون بلون الابدية، لغة متلعثمة الى درجة الالتباس. يصبح اللون مؤثرا انفعاليا وادراكيا، يؤجل الاكتمال ويترك الكون على شفى هاوية الضياع. يمنح ديلوز الحدث الكوني عمقا لونيا. لا يجعل الفنان يلون ولا يستعمل الالوان، انما يستفيد من الادراكات اللونية، لانه كائن ملون. تلونه الالوان وتلون احاسيسه. اللون هو الاصل الادراكي. بينه سيزان واستفاد، منه بول كلي. يدفع الاحساس الى الانتباه لما يمكن التعبير عنه، "كما لو انه اللون في غياب الانسان والانسان متحولا الى لون. ولكن اذا كان الازرق متماثلا تماما في اللوحة او من لوحة الى اخرى، فان الرسام هو الذي يصبح ازرق، الاحادي اللون"[78].

خاتمة

لا يوجد نقد يعارض او ينفي عن ديلوز قامة "فيلسوف الحدث"، او ينتزع عن فلسفته "فلسفة الحدث". وفق الفهم الديلوزي : الحدث هو حدث فني لا غير، لان الانطولوجيا تدبير للانتصار على قوى الاضطعان و الانخرار في بهجة الحياة. يتلخص الحدث في كيفية معايشة المستقبل من نافذة الفن، الذي يتكوثرلنسج قماشة العالم من رحم التسخير الارضي، دون ان يحدد الارض التي سيقوم عليها الصراع، وتقام عليها معارك المصير، لا شيء موجود اذا ادركنا ان الصراع قائم بين الكاووس والحياة، وان نداء الفن ان يمنح الحياة مستطاعها كقوة اثباتية. يمنحا الفن بهجة التفكير في الحياة. يحملنا في رحلة استكشاف محفوفة بمخاطر المغامرة الى عمق الحدث. ان نجعل من تقاطع الفكر والحياة وقرابتهما الحميمية حدثا انطولوجيا. "هذه القرابة على وجه العموم لدى نيتشه لا تظهر فقط كالسر ما قبل السقراطي بامتياز، بل ايضا كجوهر للفن" [79]. ينتقي اشد الرغبات في مستطاعها الاثباتي، وينحت جغرافية النصر لشعب لم يولد

بعد. ففي تقدير ديلوز "لا عمل ابداعي الا ويستدعي ويوجب شعبا لا يوجد بعد".[80]

يبقى سؤال كل عمل ابداعي من منظورانطولوجي نافذة على تفحص وضع الكينونة، وتفقد الطبيعة من جهة ترميم الفلسفة واستعادة القها، ومن جهة تسريح الفن على قوى الانفلات والرغبة، وتقاطع تواطؤ الوجود مع الصيرورة. تلك هي مزية الفن، وذلك هو الحدث الديلوزي في ارتباطه الوثيق بالتواطؤ الذي يحرر الوجود من الشراكة في الكون دون الصّفات. ويظهره صيرورة وواحدا صمدا، ليس كمثله وجود في ابديته واختلافه وزمانيته الكاووسية، التي ترفعه فراغا وحدثا وامكانا، لانطولوجيا تجعل من تواطؤ الوجود حدثا فنيا، يتناغم مع طبيعة مركبة وغير متناغمة، تتشابك في عناصرها وتتناظم في نسيجها خيوطا وخطوطا، تتجذمر بين السطح والعمق تاكيدا لمنطق الاحساس، وتهفيتا لمنطق القياس، واعترافا بوهبها الفن هذا التركيب من الادراكات والاحساسات التي لا تخضع لسلطة التمثل، الذي لايقبل بمقام الفرق وبانطولوجية الاختلاف. لذلك نرى ديلوز يمحور مشروعه حول "الاطاحة بآلية التمثل بما هي آلية فكرية، واستبدالها بمقولات اخرى"[81].

ظل ديلوز على امتداد مسيرته الفكرية يكتب عن الحدث. يؤسس لرؤية فنية، تتحرر من الوثوقية الجمالية. يرفع الفن عهدا يتحرر فيه سؤال الفلسفة من تاريخها الاملس الصقيل. يمنحها مستطاع التيه والترحال في عالم البداوة. يعتقد ان الفن هو شرط امكان الفلسفة في ابداعها للمفاهيم. تتجذر في نسيجه الانطولوجي. تستمد من غفله مادة تفكيرها وتقوى سؤالها. يستعيد ديلوز البداوة الاولى كمرحلة تاسيسية. يمنح الفن المعاصر رؤية جديدة، ودافعية قصوى نحو اعادة الانسان الى موضعه الاصلي في عالم بدوي متوحش، متحرر من لوث الماهيات المعلقة خارج ضجيج الرغبة .كان الانسان نقطة او نطفة من خط بدوي متجذمر على مسطح المحايثة، يتحرك فوق فضاء افتراضي ليس له حدود او ابعاد. وتلك هي الجمالية البدوية التي صرّفها ديلوز ورصّفها على فضاء بدوي طفولي في احاسيسه، متلعثم في لغته الى حد البلبلة، لا يخضع للقياس والمقايسة، لانه فضاء صقيل، ولا للانجاب، لانه فضاء عاقر نسجته رغبة خط

مجرد " بلا خارج ولا داخل، بلا شكل ولا عمق، بلا بداية و لا نهاية، حيوي مثل تبدل متواصل. هو فعلا خط مجرد ويصف فضاء صقيلا"[82].

فرض الحدث الفني جغرافيته الجذمورية . نسجت قماشته الفطيرية رؤية انطولوجية متضرسة في التكرار والاختلاف. لا تخضع للمنظورات الكلاسيكية التي احتفى بها الفن الحديث. ينادي ديلوز بفن بدوي تصاحبه جمالية بدوية موغلة في الحياد الانطولوجي، لا تتراصف مع تاريخ الفن المدرسي. تتميز بلغتها وبمفاهيمها المترحلة في كلوم السطح والصقيل. تجد فيه الفلسفة ارضيتها الانطولوجية لنحت مفاهيمها، وتجديد جسدها من مسطح اجتمع حوله الفيلسوف والفنان لقاء عشاق، يكرمان وهب الحياة ومستطاع ارادتها، ويمنحان السؤال تقوى التفكير.الفنانون هم كالفلاسفة على هذا الصعيد، لديهم غالبا صحة هشة، ولكن ليس بسبب امراضهم، انما لانهم رؤوا في الحياة شيئا عظيما جدا، أي "كان شيئا عظيما بالنسبة اليهم وقد وسمهم بعلامة الموت الخفيفة" [83]. شكل الموت حدثا في فلسفة ديلوز، تضاعف لما توفي ديلوز منتحرا، فكان حدثا كونيا شغل الفلسفة، وفتح امام الفلاسفة في المجال لاعادة التفكير في الحدث وتعقله.

فهرس مراجع البحث

[1] Michel، Foucault، Theatrum philosophicum، Critique n،282 novembre1970،.

[2]Deleuze، Gilles، Magazine litteraire، n 257 septembre ، 1988

3 عادل، حدجامي، فلسفة جيل ديلوز عن الوجود و الاختلاف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 153.

[4]- عادل حدجامي، فلسفة جيل ديلوز عن الوجود والاختلاف، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص138.

5 Bergen، Veronique، L‘ ontologie de Gilles Deleuze، edition L‘ Harmattan، Paris، 2001،p 58

6 - Gilles, Deleuze, Guattari, Félix, Qu, est ce que la philosophie, Eds Minuit, Paris, 1992, p 185.

[7]جمال نعيم جيل ديلوز وتجديد الفلسفة المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء 2010 ص40

[8]Deleuze، Gilles، L‘ ile deserte et autres textes، editions de Minuit، Paris ،، 2002 p29

9 Deleuze، Gilles، Guattari، Felix، Mille plateaux، Ed de Minuit، Paris ،1980، p230
10
11 Deleuze، Gilles، La logique du sens، Eds de Minuit، Paris، ، 1969p158
12 Deleuze، Gilles، Pourparlers، Eds de Minuit، Paris،1990، p174
13 Deleuze، Gilles، Guattari، Felix، Qu' est ce que la philosophie، p186
14 بول كلي، نظرية التشكيل، ترجمة عادل السيوي' دار ميريت للنشر، القاهرة، 2003، ص 49.
15 فيليب، مانغ، نسق المتعدد او فلسفة جيل ديلوز، مرجع سابق، ص 116 .
16 فيليب، مانغ، نسق المتعدد او جيل ديلوز، مرجع سابق، ص 342
17Ibid، p 171
18 Ibid، p176
19Ibid، p174
20 Ibid، p171
21 Ibid، p180
22Ibid، p 179
23 Ibid، p171
24 Ibid، p177
25 Ibid، p177
26 Deleuze، Gilles، Francis Bacon Logique de la sensation، Edition la difference، Paris ،1981 ،p37
27 Deleuze، Gilles، Guattari، Qu' est ce que la philosophie، op cit، p 196
28 Ibid، p 173
29 Ibid، p 173
30 Ibid، p188
31 Ibid،p172
32 Ibid، p184
33Ibid، p188
34 عادل حدجامي، فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف، مرجع سابق، ص 250.
[35]Ibid،p174
[36] Ibid، p175
37ليوتار والوضع ما بعد الحداثي، تحرير احمد عبد الحميد عطية، دار الفارابي، بيروت، 2011، ص207.
[38] Deleuze, Gilles Magazine litteraire n257, septembre, 1988
39عبد العالي معزوز، جمالية الحداثة ادرنو ومدرسة فرانكفورت، منتدى المعارف، الرباط، ،2011، ص 229.
[40] Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Qu, est ce que la philosophie, op cit, p176
41ديلوز جيل، نيتشة والفلسفة، ترجمة اسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988 ،ص131.
42 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Qu, est ce que la philosophie, op cit, p182
43 Deleuze, Gilles, Proust et les signes, PUF, Paris,1971, p154
44 Zourabichvilli, Francois, Deleuze ; une philosophie de l, evenement, PUF, Paris, 1996, p 88
45 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Mille plateaux, op cit, p 38
46 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Qu, est ce que la philosophie op cit, p 182
47 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Mille plateaux, op cit p 388
48 Ibid, p411

49فيليب، مانغ، نسق المتعدد او جيل ديلوز، مرجع سابق، ص 121

50 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Qu , est ce que la philosophie, op cit , p 194

51Ibid, p 195

52Ibid, p 195

53 Ibid,p 195

54 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix , Mille plateaux, op cit, p 416

55 Deleuze, Gilles, Logique de la sensation, opcit , p278

56 فيليب، مانغ، نسق المتعدد او جيل ديلوز، مرجع سابق ص 113

57 Deleuze,Gilles , Différence et répétition, PUF, Paris,2003, p387

58 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Mille Plateaux, p625

[59]فليب مانغ، نسق المتعدد او جيل ديلوز، ترجمة عبد العزيز بن عرفة، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 2003، ص 124

60 المرجع نفسه، ص 125

61 المرجع نفسه، ص 85

62المرجع نفسه ص 99

63 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Qu, est ce que la philosophie, op cit, p 56

64 Ibid, p167

65فيليب مانغ، نسق المتعدد او فلسفة جيل ديلوز، مرجع سابق، ص 112

66 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Mille plateaux, op cit, p

67 Deleuze, Gilles, Différence et répétition, op cit, p

68فيليب، مانغ، نسق المتعدد او جيل د يلوز، مرجع سابق، ص97

69المرجع نفسه، ص 110.

70 Deleuze Gilles Qu, est ce que la philosophie, op cit, p 187

71 Heidegger, Martin, Nietzsche II, trad P Klossowski, Gallimard, Paris, p 247

[72]علي الحبيب الفريوي، الفن والحقيقة، دار الفارابي، بيروت، 2007 ،ص 232.

73 عادل حدجامي، فلسفة جيل ديلوز عن الوجود والاختلاف، مرجع سابق، ص 243.

74 فيليب مانغ، نسق المتعدد او جيل ديلوز، مرجع سابق، ص 112 .

75Heidegger، Introduction a la métaphysique، trad. G Kahan، PUF، Paris، ،1958Gallimard، Paris.، 1967

76Deleuze، Gilles، Guattari، Felix، Qu' est ce que la philosophie، op cit، p .189

77 Ibid، p 189

78فليب مانغ، نسق المتعدد او جيل ديلوز، مرجع سابق، ص 86 .

79 جيل ديلوز، نيتشة والفلسفة، مرجع سابق، ص 130.

80 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Qu, est ce que la philosophie, op cit, p 157

81 Deleuze, Gilles, Différence et répétition, op cit, p1

82 Deleuze, Gilles, Guattari, Felix, Mille plateaux, Eds des Minuit, 1980,p620

83Deleuze, Gilles, Différence et répétition, op cit, p163